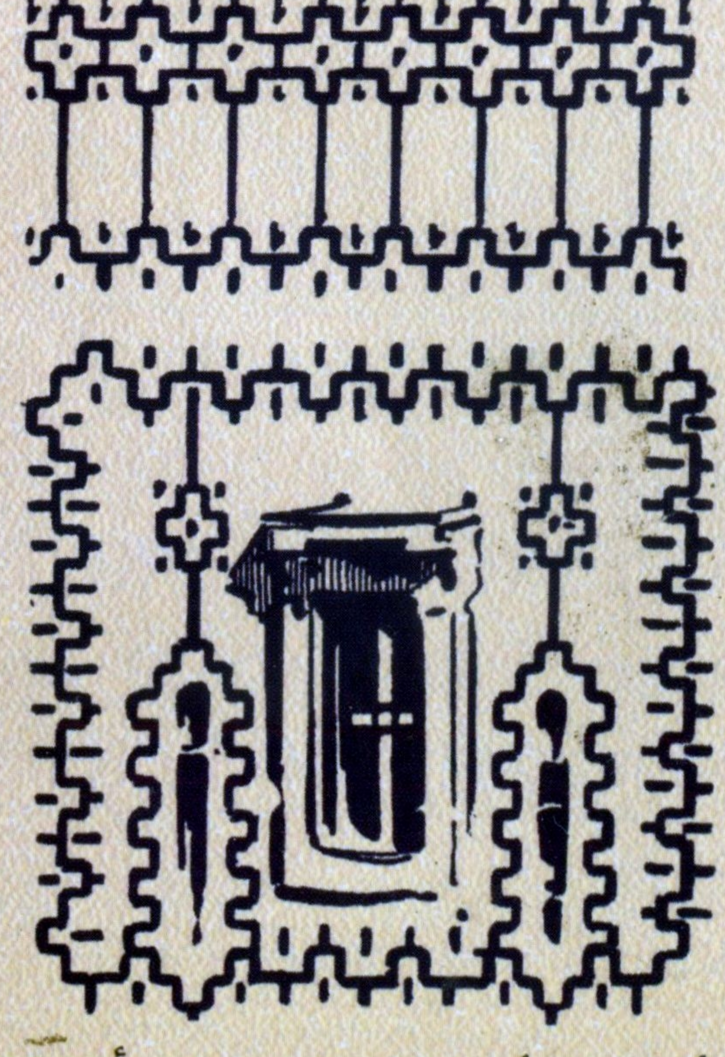
ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ ⴰⴳⵍⴷⴰⵏ
ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ
ⴰⵎⵎⴰⵙ ⵏ ⵜⵖⵓⵔⵉⵡ ⵏ ⵓⵎⵣⵔⵓⵢ ⴷ ⵜⵡⵏⵏⴰⴹⵜ



المملكة المغربية
المعهد الملكي
للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات التاريخية والبيئية

سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 1 -

نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية



تأليف: الأستاذ علي صدقي أزايكو

الرباط 2004

المملكة المغربية
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

مركز الدراسات التاريخية والبيئية



ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⴰⵖⵔⵉⴱ
ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ ⴰⴳⵍⴷⴰⵏ
ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ

ⴰⵎⵎⴰⵙ ⵏ ⵜⵖⵓⵇⵉⵖ ⵏ ⵓⵎⵣⵔⵓⵢ ⴷ
ⵜⵡⵏⵏⴰⴹⵜ

سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 1 -

نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية

تأليف : الأستاذ علي صدقي أزايكو

الرباط 2004

تنبيه

نلفت انتباه القارئ الكريم إلى أنه، نظرا لأسباب تقنية، فإن حرف «الكاف المعقودة» في هذا المؤلف مرسوم على الشكل التالي " گ "، بدل من " ڲ "، (أي الكاف فوقه ثلاث نقط)، كما أن علامة السكون (ْ) تظهر كأنها دال مصغرة (ۮ).

منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات التاريخية والبيئية
سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 1 -

العنـــــــــوان : **نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية**
الســلســلــة : سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 1 -
التـــــأليـف : الأستاذ علي صدقي أزايكو
النـــاشـــــر : المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
الإخراج والمتابعة : مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل
تصـميـم الغـلاف : وحدة النشر (مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل)
المطبـــعــــة : مطبعة المعارف الجديدة - الرباط
الإيداع القــانوني : 2004/1464

تصدير

يسعد مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية أن يقدم للقارئ الكريم هذا الإسهام العلمي المتميز لأستاذنا الجليل علي صدقي أزايكو المعروف بكفاءته العلمية في مجال البحث التاريخي بالمغرب. ولعل أهم ما يميز هذا العمل هو توظيفه اللغة الأمازيغية في دراسة تاريخ وأصول الحضارة المغربية ويتجلى ذلك في استثماره لهذا الرصيد اللغوي الأمازيغي للإقتراب أكثر من بعض الحقائق التاريخية التي لا تسمح المصادر التقليدية بالتوصل إليها، مبرزاً بالتالي أن الاستعانة باللغة الأمازيغية يمكن أن يحل بعض الألغاز التاريخية المستعصية على الفهم أو التي يعتقد البعض أن تفسيرها أصبح نهائياً.

والملاحظ أن مجال اهتمام هذه الدراسات هو الأطلس الكبير الغربي الذي كرس الأستاذ علي صدقي أزايكو قسطاً كبيراً من حياته لدراسة تاريخه وحضارته إلى درجة أنه أصبح جزءاً منه. وهذا الأمر واضح جداً في هذه الدراسات التي يجمعها خيط واحد هو النفوذ إلى أعماق هذه المجتمعات التي ظلت دائما متشبثة بأصالتها وحضارتها المتجذرة في التاريخ. ومثل هذه الأبحاث النموذجية من شأنها أن تكون حافزاً للمزيد من البحث في جوانب أخرى من تاريخ مختلف مناطق المغرب التي ما تزال تنتظر من يسلط الأضواء الكاشفة عليها.

محمد حمام
مدير مركز الدراسات التاريخية والبيئية

مقدمة

لا يختلف اثنان حول أهمية الوثيقة والمصادر المكتوبة في كتابة التاريخ بصفة عامة وتاريخ المغرب بصفة خاصة. وحينما نتحدث عن الوثيقة فإن أول ما نفكر فيه هو الوثيقة المكتوبة مهما كانت طبيعتها (إخبارية، فقهية، أدبية، فلسفية، عرفية إلخ...) غير أن الوثائق المكتوبة نادرة، إن لم نقل منعدمة في عصور تاريخية معينة، وخصوصاً منها الموغلة في القدم، وحتى بالنسبة للعصور القريبة منا توجد مجتمعات لا تتوفر على الوثائق المكتوبة الكافية إلا نادراً. ويتعلق الأمر هنا بصفة خاصة بالمجتمعات الإنسانية التي تسود فيها الثقافات الشفوية، والمغرب من هذا النوع من المجتمعات إلى فترات قريبة جداً. ولهذا السبب، تبدو كتابة تاريخ هذه المجتمعات صعبة تتحدى المؤرخين.

غير أن اعتماد المؤرخ على أشكال متنوعة من الوثائق يساعده على النفوذ إلى عمق التاريخ الاجتماعي، كما يساعده على تجاوز تاريخ الأحداث المتداول إلى حدود اليوم، المعتمد أساساً على الوثائق المكتوبة التي رغم أهميتها تظل محدودة الفائدة بالنسبة لكثير من القضايا التاريخية ذات المدى الطويل.

كما هو معروف، فالتاريخ السائد في المصادر التقليدية كان دوما تاريخا رسمياً يهتم بأنشطة الأنظمة السياسية القائمة ولا يهتم بتاريخ المجتمع بكل مكوناته. والتاريخ لا ينحصر في الأنشطة الرسمية التي ليست في حقيقة الأمر إلا انعكاساً باهتا لتاريخ كبير تجري أحداثه خارج الميادين المفضلة لدى الأخباريين. ولإعادة بناء هذا التاريخ العميق أصبح من الضروري البحث عن الوثائق في مظان أخرى. وتبقى اللغة في هذا الصدد واحداً من بين أفضل الوثائق التي يمكن أن تمد الباحث بمعطيات وتدقيقات مفيدة لا توجد في المصادر التقليدية المألوفة، وهي تدقيقات ثمينة تسلط أضواء جديدة على مشاكل لم يتم بعد الاهتداء إلى حلها رغم أنها تبدو للبعض وكأنها مفسرة تفسيراً مقبولا ونهائياً.

وحيث إن الشمال الإفريقي هو بلاد المثاقفة بامتياز، تتعايش فيه إلى اليوم لغتان تاريخيتان هما الأمازيغية والعربية، فلا يمكن تجاهل الفائدة القصوى التي يمكن أن تزوِّد بها دراسة هاتيْن اللغتيْن البحث التاريخي. ودراسة اللغة الأمازيغية بصفة خاصة، تساعد الباحثين كثيراً على قراءة موضوعية وتأويل صحيح للعدد الكبير من الأسماء الموشومة إلى الأبد على امتداد أرض شمال إفريقيا.

أُقدِّم في هذا الكتاب بعض المواد التاريخية التي اعتمدت في مقاربتها على اللغة الأمازيغية لمقاربتها مستعينا في ذلك بمعطيات أخرى منبثة في المصادر التاريخية. وسيلاحظ القارئ أن جل مواده تتعلق بالأطلس الكبير الغربي وسوس، ويرجع ذلك أساساً إلى اهتمامي بتاريخ هذه المنطقة. وما قدِّم هنا ليس إلا نماذج قليلة عن المنطقة

المذكورة، وتتعلق بأسماء جغرافية وبشرية ومؤسسات سياسية واجتماعية وثقافية. وكثيرة هي الأسماء المشابهة لها الموجودة في جميع مناطق المغرب وبقية بلدان شمال إفريقيا بجبالها وسهولها وهضابها ووديانها وواحاتها وصحرائها... وإذ أضع هذا المؤلَّف المتواضع رهن إشارة الباحثين، فإنني أتمنى أن يكون محفِّزاً لهم على الاهتمام أكثر بمثل هذه الوثائق الموشومة في المكان والتي ستساعد لا محالة كثيراً على إعطاء نظرة واسعة ورسم صورة واضحة قريبة من الواقع التاريخي الاجتماعي والثقافي للمغرب.

تَاوِينْخْتْ، أوائل يوليوز 2003

الأسماء الجغرافية

أغْبـارْ

« **أغْبَارْ**» مفرد مذكر، يجمع على «**إيغْبَارنْ**»، وصيغة التصغير منها هي «**تَاغْبارْتْ**» وتجمع على «**تيغْبَارينْ**»، اسم لعدة أمكنة يوجد المعروف منها حتى اليوم في وادي نفيس الأعلى وبلاد تيفنوت بأيت وَاوْزْكِيتْ الجنوبيين.

أما المدلول اللغوي للكلمة، فيبدو أنه مستمد من الوضع الطوبوغرافي للأماكن التي تحمل الاسم. إذ يلاحظ أنها تقع كلها في أعلى جزء من وادٍ مّا، أي في المنطقة التي تتجمع فيها المياه الأولى التي تكون رأس مجرى مائي. فهي إذن تعنى أعلى حوض النهر.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن ثلاثة من أربعة أماكن تحمل الاسم المذكور، توجد بها مناجم معدنية، منها ما عرف من عهد الموحدين. فقد ذكر البيذق أن عبدالمومن بن علي عاقب أيت واوزكيت حينما «حصروا العدّانيين في أغبار» تيفنوت. كما أشار مؤلف رحلة الوافد إلى «أن بلدة أغبار [بوادي نفيس الأعلى] فيها كثرة المعادن من حديد وغيره...»، وأضاف بأنه أخبر بأن هذه المعادن كانت تستغل منذ عهد الإمام المهدي بن تومرت.

وفي عهد الحماية نجد أن معادن «تاغبارت» بأعلى وادي أكْنْضيصْ -أحد روافد نفيس العليا- كانت تستغل من قبل شركة معدنية عصرية، واستمر ذلك إلى وقت قريب.

ويعتبر «أغْبَارْس» وادي نفيس، ذا أهمية خاصة نظرا لمميزاته المتعددة. ومن بينها تغلغل الواديين المكونين له - وهما أسيفْ نْ - إيجَاناتْنْ وآسيف نْ - مَسْورْ- تغلغلا عميقا في كتلة تِيشْكَا الجبلية. مما جعله على اتصال مباشر بالمجموعات البشرية المجاورة لها، والتي تعتبر من أقوى المجموعات الجبلية وأشدها مناعة وأكثرها غيرة على استقلالها منذ أقدم العصور. وتزداد أهمية هذا الموقع خصوصاً إذا علمنا أن الموسم الرعوي الذي ينعقد كل صيف بمراعي تِيشْكَا، يلعب دورا هاما في شتى مجالات حياة سكان المنطقة. أضف إلى ذلك أن هذا التغلغل جعل بلاد آغبار قريبة جدا من سوس الأعلى، مما سهل الاتصال وتبادل المصالح بينهما.

إن الناظر إلى بلاد أغبار، سيلاحظ بسرعة أنها منعزلة وسط قمم جبلية عالية، وقراها تنبث على جوانب أودية عميقة وضيقة، ولا تصلها بالخارج إلا مسالك جبلية كبيرة الارتفاع وصعبة العبور ومعدودة على الأصابع.

ولهذه الأسباب تمكن سكان **أغبار** من الاحتفاظ باستقلالهم السياسي ونظامهم المجتمعي الجماعي حتى زمن قريب. ولم يتمكن القائد الكنتافي من إخضاعهم لنفوذه -رغم قوته-، إلا غداة موت السلطان الحسن الأول، وبعد معارك عنيفة بين الطرفين.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن شيخ زاوية تاسافت لم يجد ملجأ يلتجئ إليه هو وعائلته، حين داهمت حركة باشا مراكش عبدالكريم بن منصور، وادي نفيس سنة 1715، إلا بلاد أغبار التي كانت كذلك ملجأ لجزء من سكان الوادي الهاربين لنفس الأسباب.

المراجع :

- البيذق (أبو بكر الصنهاجي)، كتاب أخبار المهدي، تصحيح وترجمة ليفي بروفنا، باريس، 1928، النص، ص. 127، الترجمة، ص. 217 وتعليق رقم 2.

- عبدالله بن ابراهيم، رحلة الوافد.... تحقيق صدقي علي، الرباط، 1988، (النص المرقون)، ص. 124، 125، 129 وما بعدها، وأماكن أخرى.

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire touareg - Français**, I.N.F., 1952, T.IV, p.1690.

- Robert Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 12, 18, 134, 162, 186, et passim.

- Id., «L'Aghbar et les Hautes-Vallées du grand-Atlas», dans **Hespéris**» Année 1927, 1er Trimestre, pp. 1-32.

- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut- Atlas**, Paris 1942, p. 34.

أَكَرْكُورْ

«**أَكرِكُور**» اسم قرية تقع على الحافة الشمالية الغربية لهضبة «كِيكْ» الكائنة جنوب غرب مراكش. وهي مبنية في تراب «**أيتْ واوْزگيتْ**»، غير بعيد من بحيرة سدّ «**لالاَّ تَاكَرْكُوسْتْ**» الذي تتجمع فيه مياه نهري نفيس وأمْزْميزي. إن كلمة «**أَكَرِكُورْ**» معروفة في مناطق أمازيغية من شمال إفريقيا، ومع ذلك فإن مدلولها اللغوي غير مضبوط لحد الآن. ومع ذلك يمكن أن نفترض أنها تعني: المجري الواسع الذي كونه نهر ما عند خروجه من الجبل إلى السهل. ومعلوم أن «أَكَرِكُورْ» تقع على الضفة اليمنى لنهر نفيس، في منطقة يتسع فيه مجراه بشكل بيِّن، خصوصاً إذا قورن بمجراه الأعلى.

لقد لعبت قرية «**أَكَرگُورْ**» دورا تاريخيا هاما في حياة سكان جبال نفيس، إذ كانت مركز إقامة قواد المخزن المركزي، المكلفين من قبل قائد أهل سوس والقصبة بمراكش، بشؤون أهل وادي نفيس وإيغيغانين.

وبعد موت السلطان الحسن الأول، استولى عليها القائد الطيب الكَنتافي، ثم نازعه عليها القائد الكَلاوي. وبعد جولة من المفاوضات بين القائدين عادت في بداية القرن العشرين إلى سلطة الكَنتافيين، وكانت «**أَگرگُورْ**» بالنسبة إلى هؤلاء ذات أهمية استراتيجية كبيرة،

لأنها كانت نافذتهم على الحوز والعاصمة الجنوبية مراكش، كما كانت مركزا لمراقبة أهم طريق يربط وادي نفيس بحوز مراكش.

المراجع :

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, I.N.F., 1952, T.IX, P. 1755.
- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 126, 133, 275, 277, 301, 336.
- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie de Haut. Atlas**, Paris, 1942, p.89.
- C. Justinard, **Le Caïd Goundafi**, Casablanca, 1951, pp. 38, 39, 46-47.
- P. Pascon, **Le Haouz de Marrakech**, Rabat, 1977, T. 1, pp. 28, 182, 274, 346, 348, 367.
- Ch. de Foucauld, **Reconnaissance au Maroc**, 1883-1884, Paris, 1888, p. 337.
- Mission de Segonzac, **Voyage au Maroc** (1899-1901), Paris, 1903, 3e partie, Le sous, p.238, sqq.

أُوكَدْمْتْ

إن المدلول اللغوي لكلمة «**أُوكَدْمْتْ**»، يمكن تحديده بالرجوع إلى الجدر الذي تنتمي إليه، ألا وهو «كَ- دْ-مْ»، وهذا يتضمن معنى الارتفاع والعلو المشرفيْن على مناطق واسعة مجاورة، واللذيْن يستعملان عادة كأماكن للمراقبة والحراسة، ولإعطاء إشارات إنذارية إعلاما للمعنيين باقتراب خطر ما. وهذه الأماكن تقع في غالب الأحيان عند الحدود الفاصلة بين منطقتين مُتَوازِيَتيْن عن بعضهما بسبب التضاريس.

وهذا المعنى يتوفر إلى حد كبير في بلد «أُوكَدْمْتْ» وبلد «إيكَدميونْ» المتجاورين واللذين يستمدان اسماهما من أصل واحد.

ومن الجدير بالذكر أن المادة تعطي معنى آخر يدل على الشيء المقلوب على فمه أو على الجهة المفتوحة فيه.

وقد لوحظ أن كل الكلمات التي تدخل مادة «كَ -د-م» في تكوينها- وهي كثيرة في المناطق الجبلية على الخصوص -تتشابه في شكلها الطوبوغرافي وفي وظيفتها الاجتماعية.

ومن الدلائل الواضحة على المدلول الوظيفي للكلمة، استعمال لفظ «ءاكَدِّيمْ» لتدل على أبراج المراقبة في «قصور» دَادْسْ وفركْلا وتُودْغتْ، وفي بعض الأماكن في وادي درعة.

إن بلاد «أُوكَدْمْتْ» تقع في الحوض الأعلى لنهر نفيس، وسكانها (أيت أوكَدمتْ)، تنتشر قراهم على جوانب نهر أوكَدمت (ءاسيفْ نْ- أُوكَدْمْتْ) أحد الروافد العليا لنهر نفيس.

ويقع وادي أُوكَدْمْتْ بصفة عامة، في الجهة الغربية من تينمل وتحده من الشمال والغرب قمم تشرف على بلاد إيكَدْميُونْ أو كَدميوة، ومن جهة الجنوب قمم أخرى تشرف على وادي أغْبارْ ووادي نفيس الأعلى.

ينتمي سكان «أوكَدْمْتْ»، كباقي سكان الأطلس المراكشي، إلى مصامدة الجبل، يتكلمون الأمازيغية، ويعيشون على الزراعة وتربية المواشي.

في عهد الموحدين، كانوا على -ما يظهر- يعدون من إيكَدْمِيونْ أو كَدميوة، لأن الاسم الذي يعرفون به اليوم لم يرد في المصادر المعروفة.

في القرن الثامن عشر، يبدو سكان أوكَدمت -حسب ما ورد في رحلة الوافد، كمجموعة مستقلة بنفسها، تتحكم في حركيتها السياسية والمجتمعية الانتماءات اللفية لسكانها. ولكنها منجذبة -على مستوى التحالفات السياسية- نحو إيكَدميون أكثر من انجذابها نحو وادي نفيس. ولكن موقع بلادهم الاستراتيجية يكتسي أهمية قصوى، بالنسبة إلى جيرانهم من الناحية الجنوبية. ولهذا نجد أن آخر «حركة» مخزنية، وجهت إلى جبالهم في عهد المولى إسماعيل، دحرها الجبليون في «**أوكَدْمْتْ**» بالذات، وقتل فيها، من بين من قتل، قائدان من قواد المخزن.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، تمكن القائد الحاج الطيب الڭنتافي من ضم «أوڭدْمْتْ» إلى إيالته بالقوة، لأنه بدون ذلك، سيكون مركز بوادي نفيس مهدداً على الدوام من ناحية الشمال. ومنذ العهد الڭنتافي بقيت «أوڭدْمْتْ» تابعة إداريا لوادي نفيس. وهي اليوم مشيخة تابعا لقيادة «تالاتْ نْ - يعقوب» بنفس المنطقة.

المصادر:

- عبدالله بن إبراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد....، تحقيق صدقي علي، كلية الآداب، الرباط، 1988، ص. 59-58، 312 وغيرها.

- Ch. de Foucauld, **Reconnaissance au Maroc**, Var. 1985, p. 214-215.

- Id. **Dictionnaire Touareg - Français**, Imp. Nat. de France, 1951, vol. I, pp. 180, sq. 399.

- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 18, 308, 336.

- E. Laoust, **L'habitation chez les transhumants du Maroc central**, Paris, 1935, p. 245.

- Id. **Contribution à une étude de la toponymie du Haut - Atlas**, Paris, 1942, p. 26-27.

أونايْنْ

أونايْنْ هو اسم بلد يقع على السفح الجنوبي لجبل درن. تحده من الشرق بلاد تيفنُوتْ، ومن الغرب بلاد أيت سْمّڭ، ومن الشمال حوض وادي نفيس، ومن الجنوب بلد أيت سْمّڭ وإيوْزيوْنْ. وهو عبارة عن منخفض داخل الجبل (1000-2250)، تخترقه سيول كثيرة، تتجمع في نهاية الأمر لتكون نهر أونايْنْ (أسيف نْ - لْمّدادْ). سكانه من مصاميد جبل درن وسوس، يتكلمون الأمازيغية. ويتصلون بالمجموعات الأخرى المجاورة عن طريق ممرات جبلية قديمة ومعروفة (مثل تيزي نْ - ويشّدّانْ وتيزي نْ- وفرا وتيزي نْ -تامْتْرْكا، وغيرها). تخترقه اليوم طريق للسيارات تصله بوادي نفيس وسهل سوس. أهم أنشطة السكان هي الزراعة المسقية وتربية المواشي[1].

إذا كان «لاووست» (E. Laoust) قد لاحظ وجود نوع من التقارب اللفظي بين كلمة **أونَايْنْ** ولفظ **أونَا** (= جمع أنُو= بئر)، فإنه تلافى تأكيد وجود أصل مشترك للكلمتين. ونعتقد أنه على حق حينما فعل. أما إشارته بالمناسبة إلى حصن هُنَيْنْ، فتعتبر في نظرنا أكثر إفادة. إذ يلاحظ أن التقارب اللفظي بين **هُنَيْنْ** و**أونَايْنْ** يكاد يكون كاملا. وسنرى الآن أن معناهما ربما كان كذلك واحدا [2].

إننا نميل إلى الاعتقاد بأن كلمة **أونايْنْ** جمع غير قياسي **أهَنايْ** الذي يجمع على **إيهانَايْنْ**، ويعني من بين ما يعنى: النظر والمنظر

والمنْظَرَة بالمعنى الجميل فقط بالنسبة إلى الكلمتين الأخيرتين[3]. والفعل المستعمل اليوم في اللغة المحلية هو أنّايْ = انظر، بحذف الهاء وتشديد حرف النون[4]. والذي يعرف بلاد أونايْنْ سيقتنع بسهولة بأنها بلاد جميلة بمناظرها، مكشوفة أمام الناظر إليها من المرتفعات المحيطة بها، ومشرفة بعلوها على سهل سوس الافيح. واعتماداً على وصف البكري لحصن **هُنَيْنْ** نجد تقاربا كبيرا في المميزات الطبيعية لكلا الموقعين[5]. ويلاحظ بالنسبة إلى **هُنين** أنها احتفظت بالهاء المرفوعة، في حين سقطت الهمزة التي لابد أن تكون في الصيغة الأمازيغية. وذلك لأننا نعتقد أن النطق الأصلي هو أهُنايْنْ (=أونايْنْ؟).

إن أقدم إشارة تاريخية وصلت إلينا عن **أونَايْنْ**، ترجع إلى بداية تأسيس الدولة الموحدية، حيث ذكر أبو بكر الصنهاجي البيذق، أن أهل **أونَايْنْ** كانوا في التنظيم الموحدي يعدون من القبائل، وأن بلادهم فتحها المهدي ابن تومرت عام 518/25-1124، أي في نفس السنة التي فتح فيها وادي نفيس، حيث بنى مدينة تينملّ.

يبدو أن أهل **أونَايْنْ** لم يقبلوا بسهولة الخضوع لسلطة ابن تومرت فانعكس ذلك بشكل سلبي على رتبتهم كمجموع في التمييز الموحدي. ومما يؤكد ذلك أن المهدي ابن تومرت أعطى كاتبه المقيم بتينمل، ملّول بن ابراهيم ابن يحيى الصنهاجي، أسهما في **أونَايْنْ** [6]. وقد يفهم من ذلك أن تلك الأسهم لم تتوفر إلا بعد أن أخذت قهراً من أصحابها. إذ ليس من المستبعد أن يكون أهل **أونَايْنْ** قد عرفوا نفس المصير الذي عرفه إيزْمِيرْنْ أو هزميرة الجبل، سكان وادي نفيس، حين قتل أغلبهم وتقاسم الموحدون ممتلكاتهم بأمر من ابن تومرت[7].

في القرن الثامن عشر، يبدو من خلال كتاب **رحلة الوافد** أن أهل **أونَايْنْ** كانوا مندمجين في حركة التاريخ المحلي، خصوصا مع جيرانهم آهل وادي نفيس وأيت سْمْگ[8]. يخضعون كباقي جيرانهم لنظام حكم إيمْغَارْنْ أو الأشياخ والتحزب اللفي[9].

وحينما قام باشا مراكش عبد الكريم بن منصور بحملته العسكرية على وادي نفيس قصد إخضاع سكانه وتطويع شيخ زاوية تَاسَافْتْ المجاورة لتينمل، وذلك في سنة 1127/1715، كانت بلاد **أونَايْنْ** هي مقر المحلة المخزنية التي بقيت هناك أكثر من شهر[10]. وقد مرت حركة الباشا من هذه الناحية، لأنها أسهل طريق يمكن أن يسلكها جيش للوصول إلى الوادي المذكور. وقد اضطر الباشا سكان **أونَايْنْ** إلى المشاركة في الهجوم على وادي نفيس، بعد أن جند منهم ثلاثة آلاف وجعلهم في مقدمة جيشه[11]، لأنهم يعرفون مسالك جبل ويشدّانْ الذي يفصل وادي نفيس عن بلدهم. وقد سهلوا عليه كثيراً اختراق صفوف المقاومة المحلية [12].

وبعد انتهاء مهمة «الحركة» في وادي نفيس، غادرت بلاد **أونَايْنْ**، بعد أن أخذ الباشا من سكانه ثلاثة قناطر من المال[13].

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حينما عادت منطقة أطلس مراكش تطفو على سطح الأحداث، بظهور ما سمي فيما بعد بكبار القواد، بدأ اسم **أونَايْنْ** يذكر من جديد. فبعد أن كان أشياخ **أونَايْنْ** تحت حماية شيخ تَالامْتْ، على أومنصُور بتاكَنْتَافْتْ [14] لأن رابطة اللّف تجمعهم، أصبحوا في نهاية القرن خاضعين لسلطة عائلة

أيت لحسن بتَاكَنْتَافْتْ. وبالفعل فقد استغل القائد الحاج الطيب الكنتافي حالة «السيبة التي تلت موت المولى الحسن الأول، ليوسع منطقة نفوذه في السفح الجنوبي للأطلس الكبير. وهكذا أخضع **أونَايْنْ وأيت سَمْكْ** في ما وراء تيزي نْ - تَاسْتْ خلال سنة 1895 [15] وفي 13 شعبان 18/1314 يناير 1897، عين رسميا قائدا على «أيت إخْلَفْ وأيت قضني وأكديم وأفرا وتضيكت من فرقة أناين»[16].

غير أن توسع مناطق نفوذ عائلة الكلاوي في اتجاه الجنوب، لتشمل أيت وَاوْزْكِيتْ وإيسْكْتَانْ، أعطى لبلاد **أونَايْنْ** أهمية استراتيجية، سواء بالنسبة إلى الكنتافي أو بالنسبة إلى الكلاوي. ولذلك أصبحت منطقة نزاع بين الطرفين. وهذا ما أدى إلى تقسيمها بينهما في العقد الأول من القرن العشرين[17]. وقد كرست الحماية الفرنسية هذا التقسيم التعسفي ونتيجة لذلك أصبح الخلل الذي ألحقه بالتنظيمات المحلية لمجتمع أونَايْنْ، خلال دائما، لم تعد تتحكم الإدارة المحلية في إصلاحه.

المصادر:

(1) انظر:

- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas, Adrar n Deren**, Paris, 1942, pp. 26 et 145.

- J. Dresch, «Documents sur les genres de vie de montagne dans le massif central du grand-Atlas», **Commentaires**, Tours 1941, p.7 et passin, (voir aussi les cartes).
- A. Arrif, **Compétition Caïdale et procès d'intégration d un canton matagnard : l'Unayn**, in «Annuaire de l'Afrique du Nord» XXII, 1983, pp. 347-360.
- A. Herzenni, **L'Ounain, Modes d'utilisation des eaux d'irrigation et rapports sociaux**, in.«Bulletin économique et sociale du Maroc», N°159-160-161 (sans date)pp. 85-110.

(2) انظر: «لاووست» E. Laoust، المراجع السابقة، ص. 145؛ ونشير هنا إلى أن أحمد عريف اعتبر ما أشار إليه لاووست حقيقة ثابته.

(3) انظر:

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg - Français, Dialecte de l'Ahaggar**, Tome III, Imprimerie Nationale de France, 1951, p. 1358.

(4) انظر:

- E. Destaing, **Vocabulaire Français - Berbère**, Paris, 1920, p. 296.

(5) انظر أبا عبيد البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر «البارون دو سلان» le B. de Slane، باريز 1965، ص.80.

(6) انظر أبا بكر الصنهاجي المكنى البيذق، **كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين**، تصحيح وترجمة إ. لاڤي بروفنسال، باريز 1928، النص، ص. 43، 39، 132؛ الترجمة، ص. 60، 66، 223.

(7) انظر ابن القطان، **نظم الجمان**، تحقيق محمود على مكي، المطبعة المهدية، بتطوان، بدون تاريخ، ص. 94.

(8) انظر عبدالله بن ابراهيم، **رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد**... تقديم وتحقيق وتعليق صدقي علي، كلية الآداب بالرباط، ص. 30، 67. (9) رحلة...، ص. 72؛ وJ. Dresch، المرجع السابق، ص. 8-9.

(10) رحلة...، ص. 75, 80, 108, 119-120,123.

(11) رحلة...، ص. 82.

(12) رحلة...، ص. 93، 100، 115.

(13) رحلة...، ص. 118.

(14) انظر:

- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, pp. 134, 303, 336.

(15) انظر R . Montagne، المرجع السابق، ص. 336؛ وكذلك

Colonel Justinard, **Le Caïd Goundafi**, Casablanca, 1951, p. 76.

(16) انظر رسالة السلطان عبدالعزيز في :

Paul Pascon, **Le Haouz de Marrakech**, Rabat, 1977, T.2, p.106

(17) انظر «روبير مونتاني» المرجع السابق، ص. 340؛ وكذلك أحمد عريف المرجع السابق، ص. 357-356.

إيـكـيـليـزْ

«**إيـكَـيـليـزْ**» كلمة أمازيغية لم يضبط بعد مدلولها اللغوي. غير أن المادة المعجمية «**كَّلْزْ**»، تحتوي على معان تقرب كثيراً مما يمكن أن يكون هو المعنى الحقيقي لـ «**إيـكَـيـليـزْ**». من بين هذه المعاني نجد ما يدل على: الشيء المتروك أو المنعزل/على البقايا أو الزوائد/على مخلفات أي شيء نصف محروق.

كما أن كلمة «**إيـكَـليـزْ**» (ج. إيـكَّـلْزَانْ) أو «إيـكَّـلْكيـزْ» (ج. إيكَّلْكيـزْنْ) (وهذه الأخيرة يمكن أن تنطق بقلب الكاف الأخيرة ياءاَ)، تستعمل حتى اليوم لتدل على الحشرة السوداء المعروفة باسم «الجُعَل».

إن هذه المعاني يمكن أن تلاحظ كلها في جبل «**إيـكَـيـليـز**» القريب من مراكش بصفة خاصة. فهو شبه متروك ومنعزل، وسط سهل الحوز الواسع بالنسبة إلى السلسلة الأطلسية ومرتفعات «جبيلات» الواقعة على الضفة اليُمنى لنهر تانسيفت. وكأنه من بقايا الجبال المذكورة أو من زوائدها، انسحبت عنه وبقي فَضَلَة في شكل تل صخري شاهد وسط بسيط من الأرض. كما أن اللون الغالب عليه في عين الناظر إليه، هو اللون الرمادي المائل إلى السواد.

لقد ارتبطت شهرة كلمة «**إيـكَـيـليـزْ**» أو «**إيـكَـليـزْ**»، بمكانين تاريخيين هامّين هما: جبل بـ «أرْغَنْ» أو هرغة سوس: كان الإمام

المهدي بن تومرت يختلي فيه للتأمل والتعبد، قبل انتقاله إلى تينمل. وهو الذي ينعته البيذق بـ «إيـكيليزْ متاع هرغة»، وفيه يقول كذلك: «... لما دخل لـ [الإمام المهدي] الغار [إيفري] معتكفا فيه بإيكيليز برباط هرغة... »، تلقى البيعة الأولى من أتباعه. وقد بويع البيعة الكبرى حين استقر بتينملّ. وبعد موت محمد بن تومرت، اتخذ الموحدون «الغار المقدس» و «المسجد المعظم» الذي بجواره، مزاراً يحتفى به، وتشد إليه رحال الخلفاء.

ويبدو أنه بقي كذلك حتى القرن الثامن عشر، وهذا ما يفهم على الأقل من عبارة مؤلف **رحلة الوافد**، حين يقول: «... وقد سألت بعض من لقيته من أهل بلده [ابن تومرت] من هرغة سوس، على اسم بلده هناك عندهم في أي موضع هو فيه، فقالوا لي تأصيله من عندنا، من مدشر يقال له تِفِكّتْ. وله حصن عندنا في أعلى جبل يقال له إيكيليزْ. وديار وأثر قصبة مشهور عند الناس، وأحدق على ذلك من طرف الجبل بسور من حجر...». وقد اعتقد محمد المختار السوسي أن «إيكيليزْ» تحريف لي «إيكلي». وهذا غير صحيح، لأن المكانين موجودان في أَرْغَنْ باسميْهما. ثم إن كلمة «إيكيليزْ» توجد في أماكن أخرى غير هرغة ومراكش.

أما المكان الثاني، فهو جبل صغير منعزل (527م)، يقع شمال غرب مدينة مراكش، لعب دوراً هاما في التاريخ العسكري للمدينة، حيث كان على الدوام نقطة ارتكاز كل الجيوش التي هاجمتها. كما أثر إلى حد ما في المجال العمراني للمدينة، إذ كان يكون المصدر الوحيد القريب لأحجار البناء. ومنه اقتلع المرابطون مادة بناء قصر الحجر. وأعطي اسمه لأول حي عصري بالمدينة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الجبل كان كذلك خلوة الأولياء أمثال محمد ابن تميم الزناتي وأبي العباس السبتي وغيرهما.

المراجع:

- أبو بكر الصنهاجي البيذق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق وترجمة ليفي پروفانصال، باريس، 1928، ص. 30، 40، 72، وغيرها من النص، وص. 45 تعليق 3، 60 تعليق 2، 116، 217 وغيرها من الترجمة. انظر كذلك ص. 102-103 من النص، وص. 168 تعليق 2، 171، 173.

- ابن الزيات التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، 1984، ص. 149، 395، 459.

- عبدالله ابن إبراهيم، **رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد**...، تحقيق علي صدقي، (كلية الآداب الرباط)، 1988، ص. 243.

- Ch. Foucauld, **Dictionnaire Touareg - Français**, Imprimerie Nationale de France, 1951, T. I, p. 428-429.

- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, pp. 117-118.

- Gaston Deverdun, **Marrakech des origines à 1912**, Rabat, 1959, pp. 4, 19, 53.

- محمد المختار السوسي، **خلال جزولة**، تطوان (بدون تاريخ)، ج. 4، ص. 166، وما بعدها.

وقد وردت إشارات إلى «إيگليزْ» في مصادر أخرى كنزهة المشتاق للإدريسي، **والاستبصار** لمجهول، **والذخيرة السنية** وروض القرطاس لابن أبي زرع **وحوز مراكش** لپاسكون...

إيميلْشيلْ

«**إيمِلْشيلْ**» التي تعني على ما يظهر باب شراء الحبوب «إيمي - نْ - لْشيلْ» إذا اعتبرنا أن كلمة «لْشيلْ» (= لْكيلْ) هو شراء ما يَحتاج اليه من الحبوب. هي اسم قرية جبلية تقع في موطن المجموعة البشرية المعروفة باسم «أيْتْ حْدِيدُّو». وهؤلاء تقع أراضيهم في الأطلس الكبير الشرقي، وسط المسافة الفاصلة بين تِينْغيرْ جنوبا وخنيفرة شمالا. ومن جبالهم تنبع أهم روافد واد زيز وغريس ودادس والعبيد. وبلادهم عبارة عن جبال كلكيرية أو كلسية ملتوية، وهي التي تعرف كذلك باسم هضبة البحيرات، واشهر بحيراتها بحيرة إيسْلي (=العريس) وبحيرة تِيسْليت (= العروسة).

ينتمي أيت حديدو إلى الكونفيدرالية أو الاتحادية المعروفة باسم أيتْ يَافْلْمَانْ، ويجاورهم من الجنوب والشرق أيْتْ مْرْغَادْ وأيْتْ إيزْدْگ، ومن الغرب والشمال أيْتْ سْخْمَانْ وإيشْقّيرْنْ وأيْتْ مْگيلْدْ.

أهم أنشطتهم الاقتصادية هي تربية المواشي، والزراعة المسقية وهذه الأخيرة تقتصر على بعض الأراضي الصالحة المتوفرة على جنبات الانهر في بطون الأودية.

ويبدو أن منطقتهم كانت ملتقى صيفيا لكثير من «القبائل» الجبلية المجاورة، وسكان الواحات الجنوبية، يرتادون هذه الهضاب العليا

بمواشيهم بحثا عن المراعي. وفي أوائل فصل الخريف ينعقد موسم كبير قرب إيميلشيل يتبادل فيه الناس بالبيع والشراء ما يحتاجون إليه من ضروريات العيش، وربما كانت الحبوب من أهم ما يتزود به الصحراويون بصفة خاصة.

وبهذا الموسم اشتهر إيميلشيل شهرة كبيرة، وخاصة في الوقت الحاضر. غير أن المبادلات التجارية والتنقلات الرعوية، ليست هي السبب الأول في اشتهاره داخل الوطن وخارجه، بل هو احتفاظ أيْتْ حْديدُّو – من بين ما احتفظوا به من عادات وتقاليد متوغلة في القدم – بتقليد مجتمعي متميز هو الزواج الجماعي.

«أگدُودْ نْ -إيسْلاَن» أو «أيْدُودْ نْ إيسْلاَنْ» هو الاسم الأمازيغي لهذا الموسم، أي مَلتقى الخطيبات أو العرَائس. وينعقد في آخر الصيف من كل سنة، بالقرب من ضريح سيدي أحمد أولْمْغْنِي الواقع بتراب أيْتْ أمْرْ على ضفة أسيفْ مْلُولْنْ أو النهر الأبيض. وفيه يتعارف الراغبون في الزواج من الجنسين. وإذا تم الاتفاق والتراضي يتواعدون وتتم المراسيم المعروفة، من عقد وعرس... في شهر أكتوبر.

إن أهم ما يميز هذه الظاهر، هو أنها تناسب إلى حد كبير نمط عيش مجتمع تتحكم في حياته الدورة السنوية الطبيعية أكثر من غيره، وتتكامل فيها هذا على هذا المستوى حياة سكان منطقتين مختلفتيْن من حيث التضاريس والمناخ، ولكنهما متشابهتان من حيث تأثيرهما على السكان: منطقة صحراوية أو شبه صحراوية، بمناخها المعروف وأنماط عيش سكانها... ومنطقة جبلية باردة شتاء، منعزلة وسط كتل عريضة من الأراضي المرتفعة، يلفها السكون طيلة فصل البرد الجبلي القاسي،

فهي بالتالي مناسبة مثلى وضرورة يتزود فيها الإنسان في جو احتفالي متفتح بما يساعده على تجاوز فترة الركود والقلة في انتظار معانقة الربيع والصيف، حين ينجلي الصقيع من جديد عن بحيرتي إيسْلي وتيسْليتْ.

المراجع :

- E. Laoust, **Cours de Berbère marocain, Dialecte du Maroc Central**, Paris 1928, pp. 122, 302.
- E. Corjon, «Le mariage collectif dans les tribus berbères du Maroc central», In. **Bulletin de l'enseignement public au Maroc**, n°119, Mars 1932, 19e année, pp. 116 sqq.
- Mâati ben Bakkal, «Le mariage chez les Aït Hadiddou», Académie des Sciences Coloniales, Séance du 21 Juin 1946, pp. 275-298.
- G-H. Bousquet, **Le Droit coutumier des Aït Hadiddou des Assif Melloul et Isselaten** (confédération des Aït Yafelmane), in. A.I.E.C. Tome XIV, 1956, pp. 113-229.

بُحَيْرة

صيغة التصغير لكلمة بُحَيْرَة التي تعني من بين ما تعني: الروضة العظيمة. والبَحيرَة عند العرب الجاهلية تعني الناقة أو النعجة الطليقة أو السائبة المحرم أكل لحمها، وتعرف بإذنها المشقوقة.

يتداول المغاربة هذه الكلمة بصيغتين[1] لْبْحرَ ج. لْبْحَايْرْ[2] تَبْحرْتْ أو تِتْحِرْتْ ج. تِبْحِرنْ أو إبْحِرْ ج إبْحِرْنْ. وفي هذه الحالة: السهول المتصلة أو البستان المغروس بأشجار مختلفة أو بنوع واحد منها كالزيتون، أو المخصص للخضر وأنواع البطيخ وفواكه أخرى أو المحتوى على كل ذلك في آن واحد. كما تطلق كذلك على الحقول المسقية، المبنية على شكل مدرجات على جوانب الأودية الجبلية في الأطلس الكبير الغربي. فهي إذن مختلفة من حيث المساحة كذلك، ولكنها غالبا ما تكون مسورة أو مسيجة بطريقة أو بأخرى.

ويبدو أن أهم ما يميز **لْبْحرَ** عن **أكدال**، هو أن هذا الأخير كان في الأصل على الأقل ملكية جماعية أو خاضعة لقانون الجماعة، في حين كانت الأولى منذ البداية ملكية خاصة، يتصرف مالكها كما يشاء.

تحدثت المصادر التاريخية عن هذا النوع من البساتين في مراكش وضواحيه بصفة خاصة. وكانت تعرف باسم **لْبْحرَ** أو **تَبْحرْتْ** منذ عهد المرابطين. وهذا يجعلنا نتساءل عن الأسباب الموضوعية

التي آدت إلى استعمال كلمة "البحيرة" العربية الأصل على ما يظهر، بدل كلمة **تُوْرتيتْ** التي تعتبر أقدم منها، خصوصاً في بلد مصمودة المتمرسين بفنون الفلاحة والزراعة منذ أقدم العصور، وفي زمن كزمن المرابطين الذي كانت فيه العربية غير مستعملة إلا لدى قلة قليلة من المتعلمين.

وذكر الإدريسي في وصف إفريقيا من نزهة المشتاق(ص.43-44)، ان رجلا اسمه «عبيد الله بن يونس المهندس جاء إلى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد». وأضاف بأنه هو الذي أوصل المياه الجوفية من قدم الجبل إلى مراكش بطريقة الخطارات. «ثم إن الناس نظروا إلى ذلك ولم يزالوا يحفرون الأرض، ويستخرجون مياها إلى البساتين حتى كثرت البساتين والجنات واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها ومنظرها».

وإذا صح ما أخبر به الإدريسي، فإن ابن يونس هذا، قد يكون الذي أطلق اسم «البحيرة» على بساتين مراكش، إذا افترضنا أنه جاء من الأندلس.. وهو المرجح. وبقيت متداولة في أفواه الناس، بجانب كلمات أخرى مثل: جْنَانَاتْ، لْعْراصِي، إكرانْ، تورْتيتِينْ...

وهكذا أصبحت مراكش في عهد الموحدين بصفة خاصة بلد «البحائر» بكل معنى الكلمة، سواء بداخل السور أو خارجه. ففي كتاب الاستبصار مثلا نقرأ ما يلي: «وحولها [مراكش] البساتين والجنات التي يسمونها البحائر لعظمها، ما لا يحصى كثرة»، و«غرس [عبد المومن بن علي] بحيرة عظيمة بغرب المدينة [مراكش] قِبَل نفيس دورها ستة أميال، وبني فيها وخارجها صهريجين عظيمين...». وهذه الأخيرة هي

ما يعرف اليوم بجنان المنارة. «وأحدث الخليفة بعده أبنه أبو يعقوب رضه بحائر مثلها في الغرس بل أجمل...» (ص. 209-210) والجدير بالذكر أن حي القصبة الآن، الذي بنيت فيه **تامرّاكشت** الموحدية، كان قبل ذلك عبارة عن بحائر اتسعت على أرضها المدينة.

غير أن كل الدلائل سواء منها التاريخية أو الحالية تشير إلى أن بحائر مراكش الواقعة خارج السور، تجمعت بصفة خاصة في شرق المدينة، على طول الضفة اليمنى لواد إيسيلْ. وهناك توجد حسب كتاب التشوف بحيرة الصفصفة وبحيرة الرقائق (ص. 243، 245، 456).

وكانت لبني أمغار إخوة ابن تومرت بحيرة بباب الدباغين (البيذق، ص. 118) ومعلوم أن هذه البحائر انتشرت فيما بعد في الجهة الشمالية من المدينة ما بين السور ونهر تانسيفت، وبقيت كذلك إلى وقت قريب حيث تحولت في غالبيتها إلى أحياء سكنية.

وفي الجهة الشرقية من مراكش وقعت أولى المعارك الكبرى التي تصادم فيها جيش المرابطين مع أنصار الإمام محمد بن تومرت. وهذه المعركة هي التي أصبحت تنسب إلى البحيرة.

«غزوة البحيرة» اشتهرت كلمة البحيرة بالمعركة التاريخية التي تنسب إليها: «غزوة البحيرة» كما يسميها البيذق أو «وقعة البحيرة» عند ابن الخطيب، والتي دارت وقائعها بين المرابطين وجند ابن تومرت عام 324هـ/1129-30م بضاحية مراكش بقيادة عبدالله بن محسن الونشريسي المعروف بالبشير. لم تدم المعركة إلا يوما واحدا وانتهت بسحق الموحدين. هذه المعركة كانت حاسمة وفاصلة بين مرحلتين من مراحل الصراع المرابطي-الموحدي. فقد وقعت في نفس السنة التي

توفي فيها الإمام ابن تومرت، حيث لم يتأخر عنها إلا ببضعة أشهر. وكانت أولى المعارك الكبرى التي التقى فيها المرابطون والموحدون بسهل مراكش العاصمة. وفيها قتلت جماعة من أصحاب المهدي المقربين وعلى رأسهم عبدالله بن محسن الونشريسي البشير، وابن تاعضميت (سليمان أحضري)، وموسى بن تمارى الگدميوي وغيرهم. ثم إنها وقعت مباشرة بعد التمييز الكبير الذي شمل صفوف الموحدين بأمر من ابن تومرت وعلى يد البشير وقائد الحملة هذا التمييز بين الموحدين والمخالفين أو المنافقين دام أربعين يوما، وذهب ضحيته عدد كبير من المصامدة (البيذق، ص. 78). ولا شك أن لهذا أثرا كبيرا فيما انتهت به المعركة من هزيمة الموحدين. وقد كانت هذه المعركة حدثا فاصلا بين مرحلة الغزوات الموحدية الصغيرة داخلا جبال درن مع بضع المناوشات ضد فرق من جيش المرابطين على السفوح الأطلسية، في عهد ابن تومرت وخلال السنوات الأولى من تولية عبدالمومن. وبين مرحلة الزحف الموحدي الشامل عبر المسالك الجبلية في اتجاه الشمال الشرقي والغربي. والذي انتهى باستيلاء الموحدين على المغرب (بيذق، ص. 88 وما بعدها).

هذه المعركة وقعت قرب إحدى هذه البحائر بشرق مدينة مراكش بدليل ما قاله البيذق «... وكان التمييز أربعين يوما في آخرها كان الخروج إلى غزوة البحيرة بظاهر مراكش، وذلك في عام أربعة وعشرين وخمسمائة، وكنا معه في اليوم الذي غاب فيه جلوسا عند باب البحيرة عند البرج وكان يعظ ويحذر...» (ص.28) وهذا يستبعد أن تكون قد وقعت في البسيط المعروف باسم البحيرة الموجود شمال مراكش وراء جبيلات، والذي أطلق عليه هذا الإسم في زمن متأخر على ما يظهر.

ومعلوم أن عبدالمومن بن على اتخذ البحيرة معسكرا لجنوده حين حصاره لمراكش قبيل استيلائه عليها بصفة نهائية. فبعد أن هزم الموحدون بقية جيش المرابطين بضاحية مراكش، جهة باب دكالة «انتقلت المحلة الموحدية إلى دار الفتح وسط البحيرة في صدر شوال من سنة احدى وأربعين [وخمسمائة]، فلم تزل هناك، وأمر المدينة في كل يوم يزيد ضعفا وأحوالها ترق إلى أن كان يوم السبت السابع عشر من شوال ففتحت مراكش ودخلها الموحدون» (ابن عذارى، ج. III. من البيان -ميراندا، ص.23-24).

ويبدو أن عبدالمومن اعتبر البحيرة دار الفتح تخليدا لذكرى المعركة الأولى التي انهزموا فيها أمام المرابطين قبل سبع سنوات مضت.

المصادر:

- البيذق، **أخبار المهدي** (1928)، ص. 28-78-79 وغيرها.
- ابن الزيات، التشوف، تحقيق أحمد التوفيق (1984) ص. 243، 245، 317، 456، 592.
- الحميري، الروض المعطار، تحقيق احسان عباس (1984)، ص. 540.
- الناصري، استقصا، ج.II، (1954، ص. 87).
- محمد شفيق، المعجم العربي-الأمازيغي، (1990)، ص. 169.

- مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد، الدارالبيضاء، 1985، ص. 209.
- E. Destaing, **Vocabulaire français -Berbère**, (1920), p. 160-161.
- E. Laoust, **Mots et choses Berbères**, (1920),p. 409.
- E. Levi Provençal, **Documents inédits d'Histoire almohde** (1928), p.232-233 et passim.
- J. Berque, «Un glossaire Arabo-Chleuh du Deren» (XVIII^{e} s), in **Revue africaine**, t. XXIV, 3^{e} - 4^{e} trim., 1950, p. 365-368.
- R. Dozy, **Supplément aux dictionnaires arabes**, (1968), t. I, p. 83-54.
- **Encyclopédie de l'Islam**, (1975), t.I, p. 949-950.
- P. Pascon, **Le Haouz de Marrakech**, (1977), t. I. p.211, n° 75.

تَاسَافْتْ

«**تَاسَافْتْ**» كلمة أمازيغية تعني «**شجر البلوط**» الذي ينتشر كثيراً في جبال الأطلس والريف. وتوجد «**تَاسَافْتْ**» كاسم علم جغرافي في وادي نفيس بأطلس مراكش، وقد تسمت بها مجموعة من القرى توجد كلها على ضفاف نهر صغير يحمل نفس الاسم، ينبع من السفح الشمالي لجبل ويشْدَّانْ الممتد بين وادي نفيس وبلاد ءُونَايْنْ، ويصب في نهر نفيس غير بعيد عن موقع مدينة تينمل الموحدية.

ومن أهم قرى «تَاسَافْتْ» نذكر: أغْبَارَانْ وتَاكَاديرْتْ نْ-ءُومْيُوسْ وتَارْكَا أوْزرُو وأكْنِي والزاويت. وفي هذه الأخيرة بنيت زاوية تاسافت.

وقد أسست هذه الزاوية سنة 1007هـ/1598م على يد الشيخ سيدي أحمد بن محمد الإفراني، والذي يسميه السكان سيدي حْمَادْ أومْحْنْدْ، وقد تلقى الطريقة من الشيخ أبي القاسم بن عبدالرزاق الذي كانت له زاوية بالقرب من تامگروت بوادي درعة.

وقد ذكر المختار السوسي (معسول ج. 12، ص. 54)، أن الشيخ المؤسس لزاوية تاسافت كان واحدا من أصحاب الولي الصالح سيدي أحمد بن موسى دفين تازروالت بالأطلس الصغير.

بقيت زاوية تاسافت خلال القرن السابع عشر جاثمة في ظلال التاريخ غير المكتوب إلى القرن الثامن عشر حيث كتب أحد حفدة شيخها كتابا سماه «رحلة الوالد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجبال بإذن الواحد»، سرد فيه أخبار محنة أبيه وعائلته وسكان وادي نفيس بصفة عامة مع باشا مراكش آنذاك عبدالكريم بن منصور التكني والي السلطان مولاي اسماعيل على جنوب البلاد.

ومن خلال هذا السرد تعرفنا على زاوية تاسافت ورجالها، كما تعرفنا من خلاله على جوانب هامة من تاريخ سكان المنطقة، سواء على مستوى علاقاتهم الداخلية أو على مستوى علاقاتهم مع المخزن والسلطة المركزية بصفة عامة.

وقد هدم المخزن زاوية تاسافت وأضرم فيها النار في صيف عام 1715، حين تمكنت «حركة» باشا مراكش عبدالكريم بن منصور من الدخول إلى وادي نفيس عن طريق وارزازات وأيْتْ وَاوْزگيتْ وأونَايْنْ أي من جهة شرق الوادي.

ورغم أنها أعيد بناؤها، فإن أهميتها كمؤسسة دينية بارزة في المنطقة نقصت كثيراً منذ ذلك الوقت إلى الآن. خصوصا وأن وادي نفيس عرف منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر اندماجا تدريجيا في النظام المخزني بواسطة القيادة الگندافية، وانتهى به بذلك نظام «اينمْغارْنْ» أو الشيوخ الذي كانت فيه الزاوية مؤسسة دينية مستقلة ومحايدة - مبدئيا على الأقل - لها اعتبار معنوي تنسحب فوائده على الزاوية وأهلها وعلى سكان المنطقة به عامة.

المراجع :

- صدقي علي ءازايكو، زاوية تاسافت، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد السادس عشر، الرباط، 1991، ص. 71-107 .

- عبدالله بن ابراهيم التاسافتي، رحلة الوافد....، تحقيق صدقي على ءازايكو (تحت الطبع).

- لحظات من تاريخ أدرارن - درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن 12الهجري/18 الميلادي، تحقيق علي صدقي أزايكو، منشورات كلية الآداب- القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق: رقم 1، 1992 .

تَـاكّنْتَـافْتْ

«تَـاكّنْتَـافْتْ» كلمة أمازيغية مركبة من «أكّْ» ومعناها أن يكون الشيء فوق شيء آخر أو أعلى منه أو مشرفاً عليه، كما تعني مجازاً المراقبة والحراسة. ومن «ضَافْ» ومعناها كذلك الحراسة والمراقبة. وبين الكلمتين «نْ» الإضافة وبها تصبح الكلمة على الشكل التالي: «أكّْ - نْ - ضَافْ» التي تعني حرفيا «المكان المشرف والمستعمل للمراقبة والحراسة». ثم أضيفت للكلمة المركبة «أكّنْضَافْ» «تاء» التأنيث أو التصغير أو الإشارة، فأصبحت «تَاكّنْضَافْتْ» وانقلبت «الضاد» في الاستعمال الشفوي إلى«دال» فنطقها الناس «تَـاكّنْدافْتْ» أو إلى «تاء» فنطقوا بها «تَـاكّنْتَـافْتْ».

ويبدو أن الكلمة دخلت في تكوين أسماء الأعلام البشرية والجغرافية منذ القدم. وهكذا نلاحظ أن البيذق ذكر اسم شخص من مكناس اسمه «يحيى ابن كّنداف»، ولاشك أن أصل «كّنداف» هذا هو «أكّنْدَافْ». إذا اعتبرنا أن شعوب زناتة بصفة عامة يحذفون عادة في نطقهم الهمزة التي تكون في أول الاسم.

كما ذكر القبيلة السوسية المعروفة إلى اليوم «بنو ونيطيف» والتي تسمى اليوم «إيدَاكّنيضيفْ».

غير أن الكلمة بصيغة «تَـاكَنْتَـافْتْ» وجمعها «تِيكَنْتَافين»، لاتوجد على ما يبدو إلا في وادي نفيس بأطلس مركش، وأيتْ مَالاَّ قرب تَافينَكولْتْ جنوب تيزي نْ – تاسْتْ.

وقد اشتهرت «تَـاكَنْتَـافْتْ» النفيسية لأنها انتسبت إليها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر عائلة أيتْ لحسن التي ينتمي إليها واحد من أكبر قواد الأطلس المراكشي هو الحاج الطيب الكنتافي نسبة إلى «تَـاكَنْتَـافْتْ».

كانت كلمة «تَـاكَنْتَـافْتْ» تطلق أصلا على مجموعة من القرى الصغيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر نفيس إلى الجنوب من تينمل الموحدية بين تَاسَافْتْ شرقاً ومُولْدِّيخْتْ غربا. وتحمل أسماء مختلفة هي: أَرْتَاتَّايْنْ وإيسْقَّالْنْ وكُوكْتْنْ وويكّيتْ، وإلى هذه الأخيرة ينتمي مؤسس أسرة إيكَنْتَافْنْ أو كَنْدافة التي حكمت وادي نفيس وبعض المناطق المجاورة له مدة تقرب من مائة سنة، حتى أن اسم المنطقة تغير وأصبحت تسمى «كَنْدافة» أو «قبيلة كَنْدافة»، مع أن سكان وادي نفيس لا يجمعهم اسميا إلا انتماؤهم الجغرافي لمنطقتهم، وإلا فكل مجموعة من المجموعات البشرية المتساكنة فيه تحمل اسمها الخاص بها.

وإذا كان قوقع قرى «تَـاكَنْتَـافْتْ» مشرفا فعلا ويسمح بمراقبة المسلك الجبلي الذي مراكش وسوس عن طريق وادي نفيس وتيزي – نْ- تَاسّْتْ، والذي يعتبر طريقا هاما ومطروقا منذ القدم، فإن «أكَادِيرْ – نْ – تَكُنْتَافْتْ» أو قصبة «تَـاكَنْتَـافْتْ» التي بنيت حوالي عام1870، غير بعيد عن القرى المذكورة، تعتبر فعلا برجا للمراقبة يجسد القوة

الصاعدة للعائلى الكندافية التي أسسته ليكون حصنها الحصين وملجأها الذي تحتمي به من الأخطار.

«تَـاكَنْتَـافْتْ» الحصن أو أكَادير رمز السلطة الكنتافية في عهد محمد نايت لحسن المؤسس وابنه الحاج الطيب الكندافي بصفة خاصة، ليست اليوم إلا أطلالا مهجورة تشهد على ماض يتأسف البعض لزواله ويستهزئ البعض بآثاره؛ جل هؤلاء، من سكان وادي نفيس، لا يعرفون اليوم عن «تَـاكَنْتَـافْتْ» إلا ما سمعوه عنها من خلال الحكايات المتأسفة أو المستهزئة، لأنهم لم يكونوا كَندافيين بالجملة ويستثقلون طرا كل سلطة.

المراجع :

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, 1951, t.I, p. 381-382.
- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, p.72.
- E. Lévi - Provençal, **Documents Inédits d'Histoire Almohade**, Paris, 1928, texte, p.66, 37.
- E. Destaing, **Vocabulaire Français-Berbère**, Paris, 1920, p. 270, 290,139.
- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 276, 277, 301, sqq.
- C. Justinard, **Un Grand Chef Berbère, Le Caïd Goundafi**, Casablanca, 1951, pp. 38, 51, 55, et passim.

تَـالْـكـجُـونْـتْ

«تَـالْـكـجُـونْـتْ» بكاف معقودة أو بكاف عادية اسم يطلق على مجموعة من القرى تقع على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي شرق مدينة تارودانت، ما بين مركزي تافينكولت وأيتْ برّحيل. ويقع جل قرى «تَـالْـكـجُـونْـتْ» على أحد روافد الضفة اليمنى لنهر سوس، المعروف باسم أسيف نْ- تَـالْـكـجُـونْـتْ الذي ينبع من الجدار الجنوبي والجنوبي الغربي من الكتلة الجبلية تيشكا.

أهم قرى «تَـالْـكـجُـونْـتْ» إينْضْرْماسْ، إيكْرْ نْ- أوفْلاَّ، إيدَاوْبْلاَلْ، تَـالاتْ نْ -حْفي... وتحيط بها المجموعات البشرية التالية: تاوينخت وإيفوزان، وإيدَاوْكَايْسْ، وإيكضَاشْنْ، وأيتْ يُوسْ، وأزَازْنْ، وتَـالاَمْتْ...

تعتبر «تَـالْـكـجُـونْـتْ» من المواقع الجميلة في المنطقة نظراً لخصب تربتها ووفرة مياهنا، وقد عرف سكانها كيف يستغلون هذه المعطيات، فجعلوا من الأراضي المجاورة لمجرى النهر جنات متصلة من أشجار الزيتون واللوز والتين وغيرها، ومزارع للقمح والشعير والذرة وأنواع الخضر... وبنوا للنحل ولمختلف الحيوانات الأليفة... كل هذا أنجز وسط غابة كبيرة محيطة من شجر أركَانْ الخالد الذي تشتهر المنطقة بإنتاج أحسن زيت منه، كما تشتهر بعسلها المعطر.

وينتمي سكان تَالْـكـجُونْتْ حسب ما ورد عند روبير مونتاني وجان دريش إلى لَفِّ إيداوْزْدَّاغْ الذي يقابله في المنطقة لف أيت زوليط، ونتيجة للصراع الدائم بين هذين اللفين برزت سلطة أيت بَازّي بتالْـكـجونْتْ منذ منتصف القرن التاسع عشر، واحتفظت أسرة أيت بازّي بالمشيخة (إمغارْنْ) ثم بالقيادة (لقياد) منذ ذلك الوقت إلى نهاية فترة الحماية، وكان المرحوم القائد الحاج لحسن بَازِّي آخر قائد منها.

المراجع :

- معلومات شخصية.
- خرائط جان دريش.
- البربر والمخزن لروبير مونتاني.

تَـامَـازيـرْتْ

«تَـامَـازيرْتْ» وتجـمع على «تِـيمـيزَارْ»، كلمـة أمـازيغيـة تعني بهـذه الصيغـة الأرض والحـقـول والمـخيم والمـقـام والمـوطن والوطن. هذه المـعـاني ترد كـلا أو بعـضـاً عند ذكـر الكلمـة حسب المنـاطق وحسب السياق.

غيـر أن المـعنى الغـالب اليـوم فـي القـسم الجنوبي من المـجـال الأمازيغي المغربي هو معنى الموطن بالمعنى المحدود أو الوطن بالمعنى الواسع. والذي تقابله في مناطق أمازيغية أخرى كلمة «تَـامُـورْتْ».

وإذا استعملت الكلمة بصيغة المذكر: «أمَـازيـرْ» فإنها تعني السماد الحيواني أي ما يسمى في كلامنا الدارج «لْغْبار» وهو الدَّمَـالْ.

وهكذا نلاحظ أن الكلمـة شـديدة الإرتبـاط بالأرض والحـيـوان وتترجم العـلاقة بينهما وتجسم أهمية هذه العـلاقة بالنسبة إلى الإنسان المزارع.

وقد استـعـملت الكلمـة بصيـغـة المفـرد أو الجـمع أسـمـاء أعـلام جغرافيـة في الأطلس الكبيـر الغربي وبصفـة خاصـة. وفي هذه الحـالة غالبا ما تعني الحقول أو المزارع.

المراجع :

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire**..., T. II, p. 638.
- E. Laoust, **Contribution**..., p.68.
- Id. **Mots et choses**..., p.2, n° 2.
- E. Destaing, **Vocabulaire** ..., p.215, 137.
- J. Berque, **Structure**..., p. 356, n°1.
- محـمـد شـفـيق، الـمـعـجم الـعـربي الأمـازيغي، الجـزء الأول، الرباط، 1990، ص. 174-179.

تاوينْخْتْ

«تَاوينْخْتْ» أو «تَاوينْغْتْ»، كلمة أمازيغية تطلق اسما على شُجيرة مشوكة تنبت في المناطق الجافة، وهي التي يسميها لاووست Aubépine saharienne.

تستعمل قشرة أغصان هذه الشجيرة في دبغ الجلود وتلوينها باللون الأحمر. وهي معروفة بنفس الاسم في منطقة درعة وتافيلالت وأيت وَاوْزْكِيتْ وسوس الأعلى والأطلس الصغير وفي جبال الأوراس على ما يبدو، وربما في مناطق أخرى.

ويغلب على الظن أن الكلمة من «وينْ» ومعناها الذي يصلح لكذا أو الذي يستعمل في كذا... و«أَغِيتْ» وتعني الجلد المتين الذي يصلحُ لصناعة الأحذية.

كما يمكن أن تكون قد أخذت من كلمة «أوينَاغْ» التي تعني عند الحيوانات العيون ذات اللون الأسود والرمادي الفاتح.

ولعل نوارة الشجيرة المشوكة المشار إليها أعلاه تشبه في لونها العيون التي توفر فيها الشروط المذكورة. فسميت شجرتها باسم المشبه به بعد تأنيثه.

استعملت كلمة «تَاوينْخْتْ» كاسم علم جغرافي، حسب ما نعلم، في جنوب شرق تَازْنَاخْتْ حيث توجد قرية تحمل اسم «تَاوينْخْتْ» عند

أيت حَاميدي. وفي جنوب شرق بوْيزاكارْنْ حيث يوجد جبل «تَاوينْخْتْ».

كما توجد في أيت سْمْكْ الذين يسكنون السفوح الجنوبية لجبل تيزي نْ- تاسْتْ حوالي مركزهم الإداري تافينكولت. غير أن «تَاوينْخْتْ» هنا تطلق اسما على مجموعة من القرى متقاربة الموقع، وكل واحدة منها تحمل اسمها الخاص وهي بالتوالي: فرنَاطْ، وإيكْرَانْ، وآزْرو، أكاديرْ ن- أومْزيلْ.

وترجع أهمية «تَاوينْخْتْ» إلى موقعها الجغرافي الذي يمكن من مراقبة الطرق المؤدية إلى جبل إيدوزدّاغ انطلاقا من سهل سوس الأعلى. فهو إذن يعتبر صلة وصل ضرورية بين السهل الذي كثيرا ما تطرقه الجيوش المخزنية المتمركزة في تارودانت التي لا تبعد عن الموقع المذكور إلا بحوالي ستين كيلومترا. وبين جبل إيداوْمْساطّوك وإيداوْزدّاغ الذين لا تطأ جنود المخزن بلدهم إلا نادراً.

ففي أوائل القرن الثامن عشر حينما حاصر باشا مراكش جبال إيدّاوْزدّاغ انهزمت جيوشه إلى تاوينْخْتْ، وبقيت في المنطقة أن اضطر مصالحتهم مقابل أداء ضريبة رمزية فأدوها ورحل عنهم دون خضوع فعلي.

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين كانت منطقة تاوينْخْتْ محل صراع بين القائد الكنتافي الذي كان يحاول بسط نفوذه على سوس الأعلى، وبين قائد تَالكجونْتْ المجاورة الدي ينتمي إلى عائلة أيتْ بازّي.

وهكذا نلاحظ أن «تَاوينْخْتْ» عرفت زيادة عن الصراعات المحلية، صراعات أخرى تنحو بها انتماءات سياسية تربطها أكثر بالسهل ليتراجع المجال الجبلي بأنظمته نحو القمم.

المراجع:

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, 1951, t. II, pp. 143 sqq. t. IV, p.1788.
- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, p.101.
- Id., **Mots et choses berbères,** 1920, pp. 478, 490.
- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 279, sq., 317-318.

- عبدالله بن ابراهيم التاسافتي، رحلة الوافد....، تحقيق صدقي علي وأزايكو، ص. 134 (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط).

تُوبْكَالْ

«**تُوبْكَالْ**» : كثيرة هي أسماء الأعلام المغربية التي تحتفظ بسر معناها في أعماق سر التاريخ. وتكتم كل شيء عمن أطلق الاسم وأجراه، ويجيء الاستعمال الممتد على مدى قرون ليدخل تعديلات شتى على الكلمة (النحت أو تغيير أماكن الحروف داخل الكلمة أو إبدال حرف بحرف آخر...) فيبعدها التداول عن مفاتيح الفهم وتبقى علما خارج الذاكرة يتعدى كل تأويل أو تصنيف.

ومن هذا النوع من الأسماء «تُوبْكَالْ» الذي يطلق على أعلى قمة جبلية في المغرب (4165 م). في مثل هذه الحالة لا يملك الباحث إلا أن يترصد القرابة المحتملة بين الكلمات ويقترح الفرضيات الممكنة.

يوجد فعل «إيكْبَلْ» الذي يمكن أن ينطق كذلك «إيكْبَلْ» الذي يمكن أن ينطق كذلك «إيبْكَلْ» ومنه «إيبْكَلْ» التي يمكن أن تنطق كذلك «تِيبْكَالْ»، وتعني كلمات هذه المادة: المساندة والدعم والتقوية... ماديا ومعنويا، إيجابيا وسلبيا.

وتوجد كلمة «إيبْكَالْ» وتعني القمة المذبية أو الجبل المذبب القمة أو القمم.

ويبدو لي أن كلمة «**تُوبْكَالْ**» لها علاقة بالكلمات المذكورة سواء من حيث الشكل أو المضمون تقع قمة «تُوبْكَالْ» ضمن كتلة جبلية

شامخة وسط الأطلس الكبير أو جبل «دْرَنْ» والتي تتميز عن منافستها في الغرب: كتلة تيشكا بواسطة وادي نهر نفيس، وعن منافستها في جهة الشرق: كتلة إيغيل -نْ- مْكُونْ بواسطة وادي نهر غْدَاتْ ووادي نهر أوْنيلْ. وتشرف على ثلاثة أقاليم تاريخية كبيرة هي: حوض درعة وحوض سوس وحوض تانسيفت.

وهكذا تبدو كمحور هائل تسيل منه المياه في كل اتجاه وتسقي الأراضي المنخفضة، ويدور حوله الإنسان ويزرع تلك الأراضي باستمرار، كل هذا يجري في هدوء يليق بهيبة عُلَى الأطلس.

أما المجموعات البشرية المجاورة لـ «**تُوبْكالْ**»، فهي أيتْ واوْزْكيتْ من جهة الجنوب والشرق والغرب، وإيوْرِيكَنْ (أوريكة) وإيغيغَايْنْ (غيغاية) وإيمْسِّيوَانْ (مسّيوة)، من الشمال جهة مراكش ويكفي أن نذكر بدور إينْتَانْ (هنتاتة) في تاريخ المغرب ليتأكد المرء بأن كتلة «توبْكالْ» لم تكن حاجزاً يشبط حركة التاريخ.

المراجع :

- Ch. Foucauld, **Dictionnaire**, II, p. 729-30-31.
- Collectif, **Géographie du Maroc,** (1964), pp. 130, sqq.
- J. Dresch et autres**, Le massif du Toubkal**, 2e, ed., 1942, pp. 185, sqq. et passim.

تِينْمَلْ

اسم قرية صغيرة تقع وسط المجرى الجبلي لنهر نفيس أحد روافد نهر تانسيفت، وهي على بعد حوالي مائة كلم جنوب غرب مراكش، على الطريق التي ترتطها بتارودانت عبر الممر الجبلي تيزي -ن- تاسّت. وتبعد بضع كيلومترات فقط من المركز الإداري الحالي: تالات -ن- يعقوب، ومن زاوية تاسافت ومن قلاع القائد الكونتافي ومنازله. وبها بقايا مسجد تينمّل الموحدي الذي اهتمت بعض الشركات بترميمه في السنوات الأخيرة فقط.

لقد ارتبطت شهرة «تينمل» بظهور زعيم الموحدين محمد بن تومرت وتكوين الدولة الموحدية، إذ كانت مركز انطلاق حركتهم ضد المرابطين وأصبحت، بعد تأسيس دولتهم ونزوحهم إلى عاصمتهم مراكش، مدينتهم المقدسة التي يحج إليها ملوكهم وأنصارهم باعتبارها رمز التأسيس وموطن ضرائح المؤسسين.

ورغم شهر تينمل وكثرة ورودها في كتب التاريخ، فقد اختلف المؤرخون في شكل كتابتها: فقد كتبها البيذق «تينملل» وكذا ابن القطان وابن خلدون، وكتبها الإدريسي «تانملت» ويبدو أنه انفرد بكتابتها بهذا الشكل، وكتبها صاحب الحلل الموشية «تينمال». وكتبها مؤلف كتاب الروض المعطار «تاملت».

أما ابن صاحب الصلاة، فقد كتبها مرة متصلة ومرة منفصلة على الشكل التالي : «تنمل» أو «تين-ملل». وكتابتها على هذا النحو الأخير، جعل البعض يميل إلى الاعتقاد بأن الكلمة مركبة من «تين» و«أيميلال»، ومعناها : ذات المدارج. لأن كلمة «أماليل» وجمعها «إيميلال» تعني الجوانب المبنية من المدرجات الزراعية المعروفة في المناطق الجبلية.

أن ابن عذاري، فقد كتبها هكذا : «تينمل» والنسبة إليها : التينمّلي، ونسب إليها صاحب التشوف بنفس الشكل، وكتبها مؤلف كتاب الاسبتصار «تينمل». وكتبها ليون الافريقي «تينملّ» بلام مشددة، وعلى هذا المنوال كتبها صاحب «رحلة الوافد»، وكذلك ينطقها سكان المنطقة حاليا.

وأعتقد أن النطق الصحيح للكلمة هو «تينْميلاَّلْ» وأنها ليست مركبة. بل هي كلمة واحدة وأن معناها هو المزار أو المحج والحَرَم والحُرمَة، وأن هذا المعنى كان لها من قبل لم تكتسبه بمجيء ابن تومرت إليها، لأن تينملال كانت موجودة قبل قيام الحركة الموحدية. فدورها كمكان مقدس تعقد فيه العقود والعهود بين القبائل المجاورة ربما كان بارزا قبل القرن الثاني عشر بكثير، ولا يستبعد أن يكون دورها هذا من أهم الدوافع التي جعلت ابن تومرت يختارها لتكون نقطة انطلاق سعيه لتوحيد مصامدة جبل دْرْنْ.

كانت تينملاَّلْ في وسط بلاد إيزْمِيرْنْ أو هزميرة الذين كانوا منتشرين في حوض نهر نفيس جبلا وسهلا ويبدو أن هؤلاء هم الذين استقدموا ابن تومرت إلى تينملال في بداية أمره، وقد روى ابن القطان قصة إيزْميرْن أو هزميرة مع ابن تومرت هكذا : «وقال في استيطان

الإمام المهدي رضي الله عنه لتينْملّلْ : أن أهل مدينة تِنْمِلّلْ بعثوا رسلهم إلى الإمام المهدي رضي الله عنه يعلمونه بطاعة هزميرة الجبل وأن مجيئه وسكناه عندهم أصلح له وأقرب من تسامح الناس به، فرحل إليهم رضي الله عنه بجميع من أطاعه، وحصل بتينملل وأكرمه أهلها، وأنزلوه في المدينة وأضافوه وأطاعوه وبايعوه، فرأى من كثرتهم ومنعة موضعهم وحسن بلدهم ما راقه، فكان يخرج إلى الشريعة ما خارجها ويجلس على حجر مربع أمام محراب الشريعة، فيعظ الناس، وكانت هزميرة يمسكون العدة، فقال لهم الإمام يوما : ما لكم تمسكون العدة وأصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله تعالى لا يمسكونها؟ فاقاموا على ترك عدتهم زماناً، وقد كان الإمام رضي الله عنه خاف من جهتهم لكثرتهم ومنعتهم، وكوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيق النظر في أمرهم، فوصلوا في بعض الأيام إلى الوعظ دون عدة، فما شعروا إلا وأصحابه الموحدون أعزهم الله تعالى رضي عنهم معهم العدة قد أحاطوا بهم بقتل منهم في ذلك اليوم نحو خمسة عشر ألفا... وقتل من ذلك القبيل كل من حضر في ذلك اليوم بتملل، وسبى حرمهم وغنمت أموالهم فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه، وأصفى ديارها جوائز جوائز لكل جائزة قبيلة ثم أدار على المدينة سورا أحاط بوهدتها، وبنى على رأس الجبل سورا، وأفرد في قبته حصنا يكشف ما وراء الجبل».

ومنذ هذه الحادثة التي يصعب الشك في وقوعها رغم الغلو المحتمل في عدد قتلى إيزميرن أو هزميرة، أصبح سكان وادي نفيس خليطا من قبائل سوس التي ناصرت ابن تومرت منذ بداية أمره. بقيت تينميلال مدينة عامرة طيلة عهد الدولة الموحدية، متوفرة على مسجد

فريد من نوعه في المنطقة الجبلية، ذلك الذي بناه عبدالمومن بن علي بعد انتصار الموحدين على المرابطين. غير أنها تراجعت بعد تخريبها من قبل المرينيين في عهد السلطان يعقوب بن عبدالحق عام 674هـ/1275م.

وقد أفادنا كتاب «رحلة الوافد» بجملة من المعلومات النادرة عن آثار مدينة تينميلال في القرن الثامن عشر، ومن ذلك أن مسجد تينميلال كان لا يزال مسجداً جامعاً. وكانت به خزانة من الكتب يرجع عهدها إلى العهد الموحدي الأول (ص 60)، وأن سور المدينة كان يمتد جهة الشرق إلى فحص تاسافت أي على الضفة اليمنى لنهر نفيس(63)، وهذه مقتبسات ما كتب عن المدينة: «وكانت الدور متصلة البناء من ناحية المغرب إلى بلدة بن عثمان، وإلى وادي أُكَدْمَتْ، ومن ناحية الجوف إلى مشرق الاعتدال، إلى بلدة أكَرْسافَّنْ فما فوق، وإلى تاسافت وبحيرة السلطان. ومازال الناس الآن يجدون أثر ذلك في البناء الداثر وقبور منسية دون المقبرة العظمى التي بإزاء السور هناك، ودراهم سكتهم]الموحدون [عند نزول الصب والمطر الوابل يجدونها مربعة (...)، وهي مكتوب فيها الله ربنا محمد رسولنا والمهدي إمامنا, والوجه الثاني لا إله إلا الله الأمر كله لله، بخط (155) مرقوم حسن، قد شاهدناه، وتتبرك الناس به وبعلاقته للأكابر والصبيان ويجعلونه في الأمتعة وأوعيتهم وأكياسهم.

وتعجبت من ذلك البناء الذي بسورها [تينميلال] من ناحية باب الرواح كأنه مبني هناك، وما بقي في المسجد بالأمس بنيان مرصوص متقون له أقف على مثله بفاس ومراكش والقاهرة المصرية (...) ولم يبق الآن من الديار بتينمل إلا نحو من ستين كانونا» (ص. 156).

«... وكان مسجد هناك بباب الرواح عند سور تينملّ بخارج بابه مقبرة، ما زال الناس الآن يتبركون فيه ...» (ص. 158).

«... وأما دار الملك هناك، لم يظهر أثرها، لأن عدوهم حين سلطه الله عليهم، من ملوك بني مرين، بعد انصرام دولة الموحدين، خرب وادي نفيس كله، وهدم الديار على أربابها هناك بتينمل. قد ذكر لي بعض من لقيته من أهل مدينة تينمل أنهم وجدوا في مدة الشيخ يحيى واكَريم في دار فوق البلد داثرة عظام امرأة بازاء رحى وبيدها سوار من النحاس الأصفر باق من ذلك الوقت إلى الآن...» (ص. 159).

«... وأول زيارتي لصالحي مدينة تينمل والورد على بابهم المنيف، كان عام إحدى عشر بعد المائة والآلف (1700م)...» (173).

«... ولما أشرفنا على مدينة [أرسل معه أبوه أحد اتباع زاويته] من ناحية ثنية موضع يقال له أسقمُ، فيه هناك مقبرة قديمة، وزرنا من بها من الصالحين، واستقبلنا حينئذ المقبرة الكبرى بعدوة وادي نفيس، التي الآن بقرب سور المدينة عند الطريق، وتوسلنا بصالحيها ومن فيها من العلماء العاملين وساداتنا الاشراف، وأراني موضعهم ومقبرتهم في أعلى المقبرة العظمى، وقبور الموحدين على يمين مصلى من ناحية الجبل، وفي وسطها بيت المرابطة يقال لها تَعْزى بنت ناصر (...) وأراني مسجد الامام ومنارة وبقية ديار تينمل وأجنتها الحسناء...».

«... ودخلت المسجد وتعجبت من حسنه ورونق صنعته، وله ستة أبواب، ثلاثة مفتوحة لشرق البلد ولناحية السور، وثلاثة أخرى مفتوحة لناحية غربها مما يلي ربوة البهوميين، وفيها أربع قبب في زواياها كلها،

في غاية الحسن والصنعة المتقنة (...) ولم يبق إلا [الصف] الأول صالحا مع قبتين الغربية والشرقية، واندرس غيرهما ...» (174).

وفي عصر مؤلف الرحلة أشاع بعض الناس، خبر انحراف قبلة مسجد تينمل، فهجره المصلون مما ساعد بدون شك على تدهور بنيانه منذ ذلك الوقت.

المصادر:

- كل كتب التاريخ التي تضم أخبار الموحدين تحدثت بشكل أو بآخر عن تينمل. وقد انفردت «رحلة الوافد» لعبدالله التاسافتي بإعطاء وصف مفصل عن المدينة ومسجدها في القرن الثامن عشر.
- وقد كتب عنها كذلك دارسون أوربيون مثل هانري تيراس في مجلة هسبيريس، ولاووست في كتابه عن الطوبونيميا في الأطلس الكبير.

دْرْنْ

النطق الأصلي هو "دْرْنْ" بسكون الثلاثة. لا بفتح الأولين كمل أشاعته المصادر المكتوبة بالعربية. ويبدو أن هذا الاسم كان يطلق على ما يسمى اليوم بـ"الأطلس الكبير". ثم اختص بأعلى جزء منه وهو الواقع ما بين تيزي نُ-ومَاشُّو وتيزي نُ-تْلْوَاتْ.

وكيفما كان الأمر، فهذا الاسم قديم. فقد ذكر Strabon و Pline من بعده أن الأمازيغ كانوا يطلقون هذا الاسم على الأطلس[1].. وقد ورد الاسم في كتاب أخبار المهدي مرتين: "وقالا له يا فقيه وصلنا من درن من تينمل" ص. 57 من النص. "فطلعنا مع إيمي انْ-الزَّاتْ (إيمِي نْ-زَّاتْ) حتى وصلنا لدرن.. حتة وصلنا تِيفْنُوتْ وتينمل" ص. 57 من النص. ومعنى هذا أن الأطلس في جزئه الواقع بين إيمي نْ-زَّاتْ وتِيفْنُوتْ وتينمل كان في عهد الموحدين يحمل اسم دْرْنْ[2]. وهذا ما يفهم من كلام البكري أيضاً[3]. غير أن الإدريسي أدلى برأي آخر حين قال عن جبل درن: "ومبدؤه من البحر المحيط في أقصى السوس ويمر مع المشرق مستقيما حتى يصل إلى جبل نفوسه...» [4].

سنرى من خلال كتاب الرحلة أن «جبال درنة» اسم يطلق على نفس المنطقة مع بعض الامتداد في اتجاه الغرب بحيث يشمل جبال تِيشْكَا وايدَاوْزْدَّاغْ. (قارن مع ما جاء في نزهة المشتاق) -الإدريسي، ص. 40).

أما فيما يتعلق بأصل الكلمة فقد أبديت فيه عدة فرضيات، يمكن لمن يريد التعرف عليها أن يراجع كتاب (E. Laoust) المذكور أعلاه على نفس الصفحات. وما دمنا في نطاق الفرضيات التقريبية والمؤقتة، لأن الأمر لا يكاد حدو ذلك. ما دامت اللغة الأمازيغية التي يتوقف عليها فهم الكثير مما به علاقة بتاريخنا لم تجمع وتدرس علميا، فإننا نرى أن نضيف إليها أخرى لا تقل عنها إيحاء وغنى:

من بين المواد التي أوردها الأب دوفوكو[5] في معجمه الفرنسي-التاركي مادة "ديران" وجمعها «ديرَانْنْ» ومعناها: الأمنية، أو التوق إلى شيء غير متوفر. و«سَادَارَانْ» ومعناها: التمني الشبه الدائم. و«أَسْدَارَانْ» ومعناها: التمني. أو الإنسان الذي يتمنى دائما شيئا ما. وفي صفحتي 223 و227 من نفس الجزء من الكتاب المذكور أورد مادة «إيدْرْ» ومعاناها: حي. و "إيمْسُودرْ" ومعناها: التعايش، و«تَامْدُورْتْ» وجمعها «تيمْدُورِينْ» ومعناها: كون الإنسان حياً أو الحياة. وتجاوزا تعني: الغذاء الضروري للحياة، أو الغذاء اليومي. ومادة «أدْرْ» ومعناها: الضغط بشدة على شيء أفقي من الأعلى إلى الأسفل. أو الإثقال الشديد على الشيء، أو الإنهاك والسحق.

سأكتفي هنا بالإشارة إلى هذه المواد دون التعليق عليها. ولكن العلاقة الشكلية على الأقل واضحة، كما أن العلاقة بين الحياة والغذاء والأماني وضغط الكتلة وبين جبال درن في هذه المنطقة علاقة بديهية.

المصادر:

(1) أنظر :

- E. Laoust, **Contribution**.. pp.20 sq

(2) أنظر :

- E. Lévi-Provençal, **Documents**.pp. 88 et 128

(3) أنظر بكري -المسالك، النص، ص. 147و 160و161.

(4) أنظر الإدريسي- نزهة المشتاق، النص، ص. 40.

(5) Ch. de Foucauld, **Dictionnaire**.. T.I., p.23.

وادي نفيس

يكتبها الزرهوني في رحلة الوافد، وادي **نفيس** أو **النفيس** أو **نفيسة** أو **نفيس**. وهذا الاختلاف لا يعني وجود فرق في المعنى بين شكل وشكل، بل هو نتيجة عدم الاهتمام، والتأثر بما رآه في مقروءاته السابقة. وبالفعل، فإن المصادر القديمة لم تكتب كلمة «نفيس» على شكل واحد، وخصوصا المتأخرة منها. ولكن مقارنة بسيطة بين شكل كتابتها عند البكري وابن القطان مثلا، وبين رسم نطقها الحالي، تظهر لنا تقارباً كبيرا إن لم نقل تطابقا تاما.

نفيس[1]، أو واد نفيس [2]، أوءايت نفيس[3] أو أَسِيفْ نْ نْفيسْ (كما ينطقها السكان حاليا) وعن أصل الكلمة، يبدو أن أقرب افتراض إلى الحقيقة هو ربطها باسم المجموعات البشرية التي كانت تحتل منطقة تيشْكَا أو توشكا ونواحيها الغربية، أي «ڭنفيسة» [4] أو إينْ-ڭنْفيسْ[5] وهذه الكلمة قد تكون مركبة من «ڭ،g» ومعناها: المنتسب إلى...، ونفّيس. أو من «إيڭي» ومعناها: فوق، أو الأجزاء العليا، أو المرتفع، ونفّيس [6].

ولكن نسبة هذه المجموعات إلى نفيس، أو كونها سكنت المنابع العليا لنهر نفيس، لا يحل مشكل أصل كلمة «**نفيس**»، بل مشكل «**ڭنفيسة**». لذلك يمكن اعتبار «إيڭنْفيسْنْ» (ڭنفيسة) هي الأصل:

وإن "نفيس" ترخيم لها، فبعد أن كانت «أَسِيفْ نُ- وڭنفيس، أو نْ- ڭنْفِيسْنْ» أصبحت أسيف نُ-ونْفّيسْ أو نْ-نْفّيسْ" وهو النطق الحالي.

المصادر:

(1) البكري، المسالك، النص، ص123 .

(2) ابن القطان، نظم الجمان، ص 90.

(3) البيذق، أخبار المهدي، النص، ص 43.

(4) أنظر البيذق، أخبار المهدي، النص، ص 43.

(5) البيذق، أخبار المهدي، النص، ص 72.

(6) أنظر:

- E. Laoust, **Contribution**, p.50 .
- H. Basset, et Henri Terrasse, «**Sanctuaires et forteresses almohades**», in **Hespéris**, IV, 1924, p. 27, note 4.
- J. Berque, Maghreb **Histoire et sociétés**, p. 12.

الأعلام البشرية

إبراهيم بن محمد الكنتافي

إبراهيم بن محمد الگنتافي [1]، واحد من سبعة أبناء خلَف محمد نَايْتْ الحسن[2] ثالث شيوخ أو إيمَغارْنْ هذه الأسرة وأشدهم قوة [3]. ولد بتاگنتافت حوالي 1840 [4]، وبها ترعرع وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن كلا أو بعضاً[5].

إن حياة إبراهيم محمد الگنتافي تنطبق على الفترة الزمنية التي اتسعت فيها منطقة نفوذ أسرته، في عهدي أبيه محمد بن الحاج احمد (1883 -1855)[6]، وأخيه القائد الطيب الگنتافي (1855-1883)؛ مع العلم أن وفاته تمت بعد 1906 وقبل 1911 [7]؛ وقد رجح P. Pascon كونه مات سنة 1907 [8].

لقد لعب إبراهيم بن محمد طوال حياته دوراً هاما في الحفاظ على تماسك «إيالة» آل الگنتافي[9]. فإذا كنا لا نعرف شيئا عن مهامه في عهد أبيه القائد محمد، فإننا على علم بأنه كان خليفة أخيه القائد الحاج الطيب منذ البداية. وتكفل له وهو خليفة في ءاگرگورْ[10]- يساعد في ذلك الخليفة الحسن بن الحاج الطيب بتلات ن - يعقوب والخليفة محمد بن محمد (أخو إبراهيم بن محمد) بأيت سْمْگْ بسوس الأعلى[11] بمراقبة المنطقة الواسعة التي كانت خاضعة لحكمهم، والتي تمتد من ضواحي مراكش شمالا إلى راس الواد (إيمي- نْ -وَاسيفْ) بسوس عبر وادي نفيس[12].

أما المهام التي كان يقوم بها أو يشرف على إنجازها فكثيرة ومتنوعة، من أهمها تلك التي تشير إليها بعض رسائله الموجودة أو التي وجهت إليه من أخيه القائد الطيب أو من مساعديه من شيوخ ومقدمين [13]. يمكن تلخيص تلك المهام كما يلي :

- الحرص الكبير على الحفاظ على الأمن في كل أرجاء المنطقة الخاضعة؛ وحتى يتم ذلك، لا بد من اليقظة التامة لمعرفة كل ما يجري سواء داخل «الايالة» أو خارجها[14]، وإخبار القائد بالشاذة والفاذة سواء كان مقيما أو في حركة؛

- جمع الأداءات والمغارم المختلفة من شيوخ المجموعات الخاضعة من هدايا المناسبات وفروض متجددة وترتيب -بعد إحداثه- وواجبات النزالة ومؤن الحركات أو الواردين على المنطقة من أصحاب المخزن... بالإضافة إلى الإشراف على استغلال وتسيير الأملاك الواسعة الخاصة بعائلة القائد. كانت الأموال المستفادة يسيل جلها إلى مراكش أو فاس حيث يقيم القائد في غالب الأحيان؛

- العمل على حل مشاكل الناس اليومية باستعمال وسائل مختلفة من عرف وشرع وضغوط... مع مراعاة الحفاظ على هيبة «الدار بإبراز قوتها وغناها، وتقين روابط التحالفات العائلية والمصلحية... التي ينبني عليها الصرح الكَنتافي بأكمله على المستوى الداخلي على الأقل[15].

إن إبراهيم بن محمد الكَنتافي، رغم أنه لم يكتسب شهرة أخيه القائد الطيب كان من أبرز شخصيات أسرة ءايت الحسن بوادي نفيس. بل يمكن اعتباره أقوى سند لأخيه القائد الذي كان مضطراً إلى التغيب شبه المستمر عن الجبل [16]. فحياته كلها قضاها في الجبل، وممارسته

للسلطة جعلت منه -لا محالة- واحداً من أكبر العارفين بأسرار السلوك السياسي والعلاقات المجتمعية لدى سكان أطلس مراكش؛ وهذا هو ما يفسر --على ما يبدو- كون أبنائه وخاصة منهم الحاج الحسين ومحمد ءو- براهيم، هم الذين تولوا القيادة من بعد الحاج الطيب. وكانوا آخر من حاول -في ظروف صعبة حقا- الحفاظ على بناء بدأت مرحلة تجاوزه...

المراجع :

(1) لا «الكَندافي» كما هو شائع، نسبة إلى تاكَنتافت، وهي مجموعة قرى صغيرة توجد جنوب شرق تينمل، قريبا من حصن القائد الكَنتافي الأول : «اكَادير ن - تكَنتافت»، انظر عبدالله بن إبراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد...، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 1607 د، ص 284 .

(2) هذا هو الاسم الذي تعرف به الأسرة قبل أن يتغلب الاسم الحالي أي «الكَنتافي». توجد لدينا وثائق متعددة خوطبوا فيها بالاسم الأول دون الثاني.

(3) انظر: أحمد الناصري، الاستقصا، ج.9، الدارالبيضاء، 1956، ص. 146-147، 149؛

انظر كذلك :

- R. Montagne, «Le développement du pouvoir des Caïds de Tagountaft. Grand-Atlas», in **Mémorial Henri Basset**, Paul Geuthner, Paris, 1928. pp. 169, sqq.

- Colonel Justinard, **Un grand Chef Berbère, Le Caïd Goundafi**, Ed. Atlantides, Casablanca, 1951, pp. 45, sqq.

(4) نعتقد أنه أكبر سناً من أخيه الحاج الطيب الذي ولد حوالي 1850؛ انظر جوستنار Colonel Justinard المرجع السابق، ص47.

(5) في رسالة مؤرخة بـ 20 قعقدة 1323 هـ. خوطب بعبارة : «الطالب السيد إبراهيم الكنكافي». الرسالة في ملكنا.

(6) انظر: روبير مونتاني R. Montagne، المرجع السابق، ص172-173.

(7) آخر رسالة متوفرة خوطب فيها بالخليفة، مؤرخة بـ 16 جمادى الأولى 1323، انظر:

- P. Pascon, **Le Haouz de Marrakech**, Rabat, 1977, Tome Second, p.125;

وأول رسالة متوفرة تظهر أن ابنه الحسن بن إبراهيم تحمل المسؤولية. مؤرخة بـ 9 حجة 1330هـ.

(8) المرجع نفسه، II، ص.95.

(9) هكذا يُسميها القائد الحاج الطيب الكنتافي، في بعض رسائله، أنظر پول پاسكون Paul Pascon، المرجع السابق II، ص120.

(10) قرية بـ «وزكيتا جنوب شرق مراكش، بها قصبة القائد الكركوري قبل أن يأخذها الكنتافي رسميا عام 1312/1894-95، انظر ظهير التولية في كتاب پاسكون السابق الذكر ج. II، ص 102 .

(11) انظر رسالة الحاج الطيب إلى الخلفاء الثلاثة في كتاب پاسكون السابق الذكر، ج. II، ص. 120؛

- D. Paul Chatinières, **Dans le Grand - Atlas marocain, Extrait du Carnet de route d'un médecin d'assistance médicale indigène**, 1912-1916, Paris - Plon, pp. 71-73.

(12) وقع هذا التوسع بصفة خاصة في عهد مولاي عبدالعزيز الذي ربط معه الحاج الطيب علاقات خاصة، انظر ظهائر التولية في كتاب پاسكون السابق الذكر، ج. II، ص. 100، 102، 106، 110، 112، 113، 115، 119، 121، 122، 128، 129، 133، 134، 136.

انظر كذلك :

Marquis de Segonzac, **Au coeur de l'Atlas, Mission au Maroc 1904-1905**, Paris, Larose, 1910, pp. 514-516.

(13) بعض هذه الرسائل نشرها پاسكون في كتابه السابق الذكر، أما البعض الآخر فيوجد في حوزتنا.

(14) للقيام بهذه الوظيفة نسجت شبكة معقدة للتجسس وجمع الأخبار تشمل كل الأنحاء، وأخرى للبريد تحدَّث صعوبة الجبال وخطورة المسارب.

(15) من المعلوم كذلك أن سلطة القواد الكبار استندت إلى حد كبير على مساعدة المخزن المركزي وموالاته، بالإضافة على ظروف مساعدة أخرى، كتوفرهم -قبل غيرهم- على أسلحة متطورة، حصلوا عليها بطرق مختلفة؛

انظر:

R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**. Paris 1930, p. 335.

(16) انظر جوستينار، المرجع السابق، ص. 86؛ تجدر الإشارة هنا إلى أن دور سي على ن - ءيلغمان، خال القائد والخليفة، كان دوراً أساسيا في هذا المجال. وقد كان بصفة خاصة مكلفا بكل ما له علاقة بالسلاح والمواجهات المسلحة. وكانت شخصيته وسلطته مصدر هيبة كبيرة لدى الناس.

أرْغَــنْ

«**أَرْغَنْ**» (= هرغة)، اسم مجموعة بشرية، تقع مساكنها اليوم جنوب تَافِيْنـكُولْتْ وشرق تارودانت. وتجاورها المجموعات البشرية الآتيـة: إيداوْنيـضيـفْ وإيداوْزَدُّوتْ جنوبا، وإينْـدَاوْزَالْ شـرقـا، والمنابهـة شمالا، وإداوْفينّيسْ غربا.

ويبدو أن موقعها المذكور هو نفس الموقع الذي كانت تحتله منذ القرن الثاني عشر الميلادي على الأقل. وكانت «إيكْلِي» المعروفة في الكتب التاريخيـة واقعة داخل ترابهم، وهي التي كانت تعرف -حسب عبدالواحد المراكشي مؤلف المعجب بـ «إيكْلي نْ - وارْغَنْ».

اشتهر «**أَرْغَنْ**» في التاريخ، لأن محمد بن تومرت، مؤسس الدولة الموحدية، كان منهم. ولأنهم كانوا أول من استجاب لدعوته وناصروه وحينما استقر بـ «تينملّ» في وادي نفيس، استقرت معه فيها مجموعة منهم، واحتفظت بنفس الاسم. وتعرف بأرغَنْ أو هـرغة نفيس، تمييزاً لها عن هرغة سوس.

وقد كان مقامهم في الترتيب الموحدي مقاما رفيعاً، خصوصاً بعد أن قوّى الإمام المهدي بن تومرت صفوفهم، بمن أضاف إليهم من «قبائل» التي ينتمي جلها إلى إيمي نْ -واسيفْ أو سوس الأعلى حيث يوجد «أرْغَنْ» كذلك- وبمن آخى معهم من شخصيات موحدية بارزة كالخليفة عبد المومن بن علي وغيره.

وتجدر الإشارة إلى أن محمد المختار السوسي ذكر في الجزء الرابع من خلال جزولة، أن عائلات من «أرْغَنْ» سوس، لا تزال تحتفظ بذكرى انتمائها النسبي إلى الإمام المهدي بن تومرت.

وإذا كانت هرغة سوس قد خبا ذكرهم، بعد سقوط الدولة الموحدية -وربما قبل ذلك-، فإن «أرْغَنْ» نفيس برزوا في القرن الثامن عشر الميلادي -حسب كتاب رحلة الوافد- برئاسة شيخهم يحيى ابن عبدالكريم الهرغي، صديق شيخ زاوية تاسافت، برزوا ليلعبوا دوراً هاما في الأحداث التي وقعت بين سكان المنطقة وباشا مراكش من قبل المولى إسماعيل، عبدالكريم بن منصور التكني.

المراجع :

- إن جل المصادر التاريخية التي تحدثت عن الموحدين، يوجد بها ذكر لأرْغَنْ، ولذلك فإننا سندرج هنا البعض منها فقط.

- البيذق (أبو بكر الصنهاجي)، **كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين**، إخراج وتصحيح وترجمة، إ. ليڤي پروڤانصال، باريس 1928، ص.37، وما بعدها. وأماكن أخرى من الكتاب.

- عبدالواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط. السابعة، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الدارالبيضاء، 1978، ص 262 .

- ابن خلدون، **تاريخ البربر**، (بالفرنسية)، باريس 1969، ج. II، ص. 258 وما بعدها وأماكن أخرى من الكتاب.

- عبدالله بن إبراهيم، **رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد**... تحقيق علي صدقي أزايكو، كلية الآداب، الرباط 1988، ص. 18، 21، 58.. وأماكن أخرى من الكتاب.

- الناصري (أحمد بن خالد)، كتاب الاستقصا، الدارالبيضاء، 1954، ج. II، ص. 83 وما بعدها.

- المختار السوسي، **خلال جزولة**، المطبعة المهدية - تطوان (بدون تاريخ)، ج. 4، ص. 163، وما بعدها.

- روبير مونتاني، **البربر والمخزن في جنوب المغرب** (بالفرنسية)، باريس، 1930، ص. 30، 63، 70، 201.... وأماكن أخرى من الكتاب.

- عبدالوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، الجزء الأول، الرباط 1968، ص. 326.

أيتْ إيرَاتّنْ

من الأسماء التاريخية الغامضة المدلول التي نصادفها في بعض كتب التاريخ المحلي، اسم أيتْ إيرَاتّنْ. الغموض هنا يشمل المدلول اللغوي لـ «إيرَاتّنْ» والمضمون السوسيولوجي لـ «أيتْ إيرَاتّنْ».

أما من حيث المدلول اللغوي، فإننا نرجح أن يكون مأخوذا من مادة «**إيرْتي**» التي تعني من بين ما تعني الخلط والاختلاط سواء تعلق الأمر بالأشخاص أو الحيوانات أو الأشياء. وتعني مجازاً الإنسان المضطرب المشاغب[1] أو الجماعة أو البلد.

ويبدو أنهم كانوا فعلا أخلاطا من أصول مختلفة عرفوا كحلف أو «لَفّ» في منطقة وادي نفيس وشرق جبل سيروا. كما أن سلوكهم التاريخي يظهر أنهم كانوا بالفعل مشاغبين مضطربين ومخادعين. وقد لعبوا دوراً هاما في مساعدة الباشا عبد الكريم ابن منصور، عامل المولى إسماعيل على مراكش والجنوب الغربي، على الدخول بحركته إلى وادي نفيس، واتهمه شيوخ اللف المنافس صراحة بالغدر والخيانة [2].

أما عن المضمون السوسيولوجي، فيبدو أنهم لم يكونوا يكونون «قبيلة» بالمعنى المعروف في الأطلس الكبير وسوس الأعلى. وإذا كان مؤلف **رحلة الوافد** يذكرهم تارة كقبيلة، وتارة أخرى كلَفّ، فإنما ذلك منه خلط يمكن تفهمه[3]. أما روبير مونتاني، فقد اعتبرهم لفّا سواء منهم الموجودين بجبل سيروا أو بوادي نفيس[4].

هناك مشكلة أخرى لابد من إثارتها هنا، وتتعلق بوجود اسم أيْتْ إيرَاتّْنْ في مكانين متباعديْن أي في وادي نفيس وشرق جبل سيروا. في حين لا نجد له أثرا في المناطق الفاصلة بينهما أي في أُونايْنْ وَتيفْنُوتْ وَزاكْمُوزْنْ. نعم، نحن نعرف أن التشابكات اللفية تشمل مناطق واسعة ومجموعات بشرية متباعدة، ولكن الأسماء تختلف من منطقة إلى أخرى. فحلفاء لف أيْتْ زُوليطْ الموجود جنوب تيزي-ن-تاست مثلا، لا يحملون نفس الاسم في وادي نفيس.

هل يتعلق الأمر بانتقال فعلي لمجموعات بشرية من أيْتْ إيرَاتّْنْ بسيروا إلى وادي نفيس، واحتفظت باسمها الأصلي؟ يمكن افتراض ذلك، لسبب واحد، هو أن اسم أيْتْ إيرَاتّْنْ لم يرد في كتاب البيذق. في حين ورد اسم أيتْ عثمان كفخذ منْ إيكدميون أوكدميوة[5]. وأيتْ عثمان هو اسم اللف المنافس للف أيْتْ إيرَاتّْنْ، كما هو واضح في **رحلة الوافد.**

هل يمكن أن يفهم من هذا أن أيت عثمان هم الأصليون، وأن أيْتْ إيرَاتّْنْ هم الوافدون؟ إن عناصر الجواب عن هذا التساؤل ليست متوفرة الآن. ومع ذلك، نود أن نذكر فقط بأن أهل تينملّ في الترتيب الموحدي كانوا مكونين في الدرجة الأولى من مجموعات بشرية تنتمي إلى منطقة سوس الأعلى ومنطقة جبل سيروا[6].

بقي أن نشير في ختام هذه النبذة، إلى أن آخر نزاع مسلح وقع بين أيْتْ إيرَاتّْنْ وأعدائهم أيت عثمان يرجع إلى منتصف القرن التاسع عشر. وقد انتهى بانتصار أيْتْ إيرَاتّْنْ بزعامة عائلة الكنتافي التي

حكمت منطقة وادي نفيس منذ ذلك الوقت إلى استقلال المغرب في بداية النصف الثاني من القرن العشرين[7]..

وقد اندثر اسمهم اليوم كلف وبقي كاسم قرية على الضفة اليمنى لوادي نفيس هي تاركا -ن- أيْتْ إيرَاتّْنْ.

المراجع :

(1) انظر

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, Imprimerie Nationale de France, 1951, t.IV, P. 1673 sq.

(2) انظر عبد الله بن ابراهيم، **رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد**، تحقيق علي صدقي، (مرقون) ص. 21، 51، 72 وما بعد، 78 وما بعد، 107، 122.

وكذلك :

- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, PP. 185, 195, 276 et passim.
- Id. L'Aghbar et les Hautes vallées du Grand - Atlas, in **Hespéris**, Tome VII, Année 1927, 1er trimestre, PP. 15 sqq.

(3) المرجع السابق، نفس الصفحات.

(4) المرجع السابق، نفس الصفحات.

(5) ابو بكر الصنهاجي البيذق، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ليفي بروفانصال، باريس 1928، النص، ص. 41.

(6) أبو بكر الصنهاجي البيذق، المرجع السابق، ص. 40-41 .

(7) R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, PP. 276 sq, 301 sq, 327 sq.

إيكُونْكَا

«إيكُونْكَا» هو اسم مجموعة بشرية صغيرة (حوالي 350 كانون في بداية القرن العشرين)، تنتمي إلى اتحادية «أشْتُوكَنْ» أو هشتوكة الواقعة أراضيهم جهة الجنوب من مدينة أكادير.

أما أراضي «**إيكُونْكا**» بالذات، فتقع جنوب مدينة «بُويْكْرَا»، وتمتد على منطقة هضبية بين الأطلس الصغير وسهل سوس. ويحدها «إيدَاوْكَارَانْ» حد الجنوب و«إيمْشْكِيلْنْ» من الشرق، و«تَاسْكْدْلْتْ» من الشمال. و«إيداومْحْمدْ» و«إيدَاوْمْنُّو» من الغرب.

وبخصوص المعنى اللغوي لكلمة «أكْنْكُو» في المفرد، وجمعها «إيكُونْكا»، فإننا لم نتمكن مع الأسف من التعرف عليه وتحديده الآن، اعتمادا على ما هو مكتوب من كتب اللغة.

إن موقع بلاد «**إيكُونْكا**» عند ملتقى الجبل والسهل، أثر كثيراً على مجرى حياتهم السياسية والاقتصادية. إذ جعلهم ذلك على الدوام بين آخذ ورد بين جاذبية السهل والسلطات التي تتحكم فيه، وضغط الجبل المائل إلى الاستقلال والتملص من سلطة المخزن التي تسود عادة في المناطق السهلية.

وقد تورطوا أكثر من غير من سكان «الدير» نظرا لوجود واحد من أهم المسالك الطبيعية التي تخترق الأطلس الصغير الغربي من شماله إلى جنوبه، انطلاقا من أراضيهم.

هذا الطريق يبتدئ من «إيمي مّقُّورنْ» أو المدخل الكبير، عند الحدود الغربية لأرضهم ويمر ببلادهم ليؤدي إلى أيت بَاهَا وأيت مّزَالْ ثم إلى إيدَاوْسَمْلالْ وأمانُوزْ حتى تامانارْتْ...

ومنه تمر حركات المخزن عند الضرورة في اتجاه الجبل، وإليه ينتبه الجبليون ليتحكموا فيه درءاً لحملات المخزن العسكرية.

هذه الوضعية التي تعرضهم للضغوط الآتية من السهل والضغوط الآتية من الجبل، والتي تتكرر دوريا حسب ما يقع من تغييرات على مستوى السلطة المركزية -بالإضافة إلى عوامل أخرى- اضطرتهم إلى البحث عن وسائل ناجعة، تقيهم من خطر الفناء في زمن الأزمات. ومن هذه الوسائل مؤسسة أكادير أو حصن الجماعة، والمعروف باسم «أكاديرنْ - إيكُونْكا». (انظر مادة «أكادير»).

لقد تأسس هذا الحصن في أواخر القرن السابع، في أعلى منطقة من بلاد إيكُونْكا وهي المسماة «أزيلالْ»، وهي التي توجد فيها أقدم قرى إيكُونْكا مع المدرسة والسوق واختيار هذا الموقع راجع بالطبع إلى أسباب أمنية. ومعلوم أن منطقة سوس عرفت في نهاية القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر اضطرابات كثيرة بسبب الثائرين على السلطان من أفراد عائلته وأبنائه.

ومنذ تأسيسه إلى نهاية القرن التاسع عشر، أدخلت عليه تعديلات متوالية قصد توسيعه وتحصينه. ويبدو أنه كان في البداية ملكا لثلاث مجموعات فقط، هي: ايت بَاحْمانْ وايت صيصا وايت مّشْراكْ، ثم انضم إليهم بعد ذلك ايت وَارَاحْمانْ، وهذه المجموعات تكون نصف «قبيلة» إيكُونْكا.

وفي بداية القرن التاسع عشر، بدأ الحصن يحمل اسم «أكاديرْ نْ-إيكُونْكَا» بعد أن كان يسمى في الوثائق التي كتبت قبل التاريخ المذكور «حصن بني باحْمانْ» وفي نفس الوقت التحقت المجموعات المكونة للنصف الآخر من «إيكُونْكا» بالمشاركين في الحصن. وبذلك أصبح مؤسسة يستفيد منها مجموع سكان «القبيلة».

وحتى تكون مؤسسة أكادير المركز الموحد للجماعة، والمكان الآمن لممتلكاتها وأسباب عيشها، والملجأ الحصين لها حين تداهمها المخاطر، أحاطها المستفيدون منها بهالة من الاحترام والوقار، كما وضعوا قانونا يُعتمد في تسييرها وفي حل ما قد يعرض من مشاكل ونوازل أثناء ذلك. كما كونوا مجلس «إينفْلاسْ» الذي يسهر على تنفيذ القانون وتأويله، وقد يضيف إليه عند الضرورة بعض البنود التي تستلزمها المستجدات من القضايا. وهذا المجلس يتجدد كل سنة، ولا يشارك فيه إلا ذوو السمعة الطيبة والأخلاق المحمودة من علية القوم.

المراجع :

- R. Montagne, «Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : Agadir des Ikounka», **Hespéris**, Tome IX, Année 1929, 2e - 3e Trimestres, pp.145-266.

بوعبدلّي (ابراهيم)

كان واحداً من أبرز قواد دير الأطلس الكبير المراكشي في العقدين الأولين من القرن الثامن عشر. ينتمي إلى عائلة عريقة، دفع الطموح السياسي برؤسائها إلى الخوض في الأحداث الكبرى التي شهدتها منطقة الجنوب وعاصمتها مراكش بصفة خاصة.

ويبدو أن المصدر الوحيد الذي يشتمل على بعض أخبار هذا القائد هو رحلة الوافد لعبدالله بن ابراهيم التاسافتي. أما سبب حديثه عنه فراجع إلى كون الظروف جمعت القائد بوعبدلي وشيخ زاوية تاسافت، أبي المؤلف، ولأسباب مختلفة، لما كانا هاربين من قبضة باشا مراكش عبدالكريم بن منصور التكني، ولائذين بجبال وادي نفيس، فعاشا في وضعية متشابهة مدة تزيد عن ثلاث سنوات. فتداخلت وقائع وحلتيهما في رحلة الوافد.

القائد ابراهيم بوعبدلي (أو ابن بوعبدلي) الگدميوي التيزكيني، هو كما يدل عليه اسمه من مجموع إيگدميوْنْ الذين تقع أراضيهم جنوب غرب مراكش وتيْزگِينْ مجموعة من قراهم تقع في الدير إلى الغرب من أمزميز. وقد عد البيذق أيت تيزگين من گدموية الفحص. وبوعبدلي هذا هو قائدهم في هذه الفترة التي نتحدث عنها. وهو كما وصفه مؤلف الرحلة «فارس من فرسان أبطال

گدميوة ومن أخيار كماتهم في الطعن والضرب، وجواده من أحرار الصافنات الجياد...»

كانت العلاقات بين القائد بوعبدلي وباشا مراكش عبدالكريم بن منصور غير ودية. ثم تحولت فيما بعد إلى عداوة مستحكمة بينهما. خصوصا بعد أن استغل بوعبدلي فرصة غياب الباشا عن مراكش. واقتحم منزله الموجود بـ گوزمت بإيحَاحَانٍ (حاحة) هو وأصحابه وعاثوا فيه فسادا.

وبعد رجوع الباشا من مكناس إلى مراكش، هرب القائد بوعبدلي بأهله من بلده تيزگين إلى إينْ - مَاغُوسْ (ماغوسة) بأعلى بلاد إيگْدْميوْنْ واستجاربهم. وهناك حاصر بعض أصحاب الباشا ووقعت بينهم مناوشات دامت أياما حتى استغاثوا بالباشا وأمر هذا الأخير القائد علي بن إيدار بقصبة أمزميز بتحصين قصبته وشد الخناق على سكان الجبل والفقراء المنتمين إلى زاوية تاسافت.

انتقل القائد بوعبدلي إثر ذلك إلى وادي نفيس بعد أن كاتب بعض كبار البلد بمن فيهم شيخ زاوية تاسافت، ورحبوا به، كما ضمنوا له الأمان هو ومن معه. ولما علم الباشا بذلك، ازداد غيظه وبغضه للجبل وأهله، فأمر بتجديد الحصار عليهم من كل ناحية.

وفي الوقت نفسه أرسل الباشا خمسمائة مثقال فضة إلى أصدقاء بوعبدلي من أشياخ وادي نفيس مقابل غدره وقتله. لكنهم أخبروا بوعبدلي بذلك، وردوا للباشا مثاقيله.

وفي تلك الأثناء ذهب القائد بوعبدلي خفية إلى تارودانت، واستقبله بها خليفة السلطان عبد الملك بن اسماعيل، غير أننا لا نعرف

شيئا عما دار بينهما. ولكننا نلاحظ أنه بعد هذه الزيارة، لم يرجع بوعبدلي إلى وادي نفيس، بل استقر ببلاد إيدَاوْزْدَّاغ على الواجهة الجنوبية لجبل دْرْنْ، بعد أن أفلت من محاولة تستهدف إلقاء القبض عليه في سهل سوس، دبرها أحد أصدقائه بإيعاز من الباشا عبدالكريم بن منصور.

التحق به أهله إلى مستقره الجديد، وبقي يتنقل في بلاد إيدَاوْمْساطُّوگْ بإيدَاوْزْدَّاغ من مكان إلى آخر كلما حاول الباشا إرشاد من يقتله، إلى أن ورد عليه كتاب العفو من السلطان عام 1715 بواسطة الشيخ واكريم الفروگي صديقه وواحد من أصهار السلطان.

وبعد ذلك بمدة ورد عليه رسل السلطان، وهم في هذه المرة من الأداية أصهار القائد بوعبدلي، ومعهم كتاب العفو وأذن السلطان له بالإلتحاق بمكناس.

ولما اطلع الباشا على الكتاب، أذن هو بدوره للقائد بوعبدلي بامتثال أمر السلطان ولكنه بعث في الوقت نفسه إلى أصحابه بحوز مراكش، ومنهم القائد بنشتية الكدميوي واشياخ إينْ -زُوضْنْ(مزوضة)، يأمرهم بمراقبة أبواب الجبل لإلقاء القبض على بوعبدلي والحيلولة دون انفلاته ووصوله إلى مكناس.

بعد إقامة الأوداية بضعة أيام مع القائد بوعبدلي في مقر إقامته بأمَنْدار ببلاد إيَداوْمْساطُّوگ، ودعهم وأرسل معهم أهله واتجهوا نحو مراكش عن طريق وادي نفيس، في حين اتجه هو نحو زينيتْ بإيسْكْسَاوَانْ (سكساوة)، يحرسه نحو مائة رجل من إيداوْمْساطوگ إلى أن أوصلوه إليها. وبقي هناك مع بعض منهم يترقب الفرصة للنزول إلى السهل دون السقوط في أيدي أصحاب الباشا.

لقد تمكن من ذلك فعلا بعد أن أفلت بأعجوبة من الحراس، ووصل إلى أصدقائه الفروگيين، الذين أخفوه عندهم مدة. ثم ساعدوه على الوصول إلى مكناس.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ما قام به الفروگيون بخصوص هذه المسألة، ما كان ليتم لو لم يكونوا مستقلين عن سلطة باشا مراكش. وهذا الاستقلال منحهم إياه السلطان لكونهم تربطهم به صلة المصاهرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ولما علم الباشا بذلك خاف من مغبة ما سيخبر به القائد ابراهيم بوعبدلّي السلطان بخصوص الأحداث التي عاشها أو تتبعها عن قرب أثناء حركة الباشا ضد جبال دْرْنْ وسوس. ولذلك كان لابد له من إيجاد مدافع عنه لدى السلطان حين قدومه إلى مكناس لدفع ما جمعه من أموال. ومن أجل ذلك «كان يرسل لصاحبه حاجب الملك القائد عبدالمالك المهري بالهدايا الخفية والحوائج المرضية. يتكلم بكلامه في بساط الملك وإيوانه وفي الدار العالية بالله».

والمهري هذا هو وأصحابه كانوا هم الذين دافعوا عن الباشا عبدالكريم بن منصور حين اتهمه بوعبدلّي، أمام السلطان، بإخفاء جزء كبير مما جمعه من أموال الجنوب. وقالوا للسلطان: إن ما قاله بوعبدلّي ضد الباشا «كان بسبب العداوة الكائنة بينهما». هذه العداوة لا أعتقد أنها ابتدأت بحادث هجوم بوعبدلّي على دار الباشا بگُوزْمْتْ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ويبدو أن هذا الحادث ليس، على العكس، إلا نتيجة لعداوة متأصلة بين الرجلين.

أما سببها فيرجع حسب تقديرنا إلى وجود تنافس بينهما يعود إلى ما قبل تعيين عبدالكريم بن منصور باشا في مراكش، لأنهما تعارفا أثناء حملة زيدان بن اسماعيل على مراكش وتارودانت ضد أخيه محمد العالم الثائر على أبيه.

فقد ذكر مؤلف الرحلة أن محمد العالم حينما هاجر إيحَاحَانْ (حاحة) ومراكش عام 1703، قتل من بين من قتل القائد علي بن بوعبدلّي بتِيزْكِينْ، وشرد عائلته، وكان إبراهيم بوعبدلّي ممَّن أفلت بالتجائه إلى جبال أوكَدْمَتْ. ثم بعد ذلك التحق بمكناس وأقام بها شهرين. جهز السلطان إثرها جيشا بقيادة إبنه زيدان ومعية القائد إبراهيم بوعبدلّي.

وحين حديثه عن الباشا كتب مؤلف الرحلة ما يلي: «وهذا الباشا رجل أمّي لم يقرأ ولا تعلم شيئا من أمر الطلب، وإنما هو من أصحاب ابن الأمير المذكور مولاي زيدان بن اسماعيل وتربيته...». وأضاف بأنه قبل الدخول في الخدمة المخزنية كان «حمارا يتجر في المغزل بودي أَغْبَارْ في أعلى وادي نفيس، يشتريه ويذهب به لمراكش يبيعه بها، مدة طويلة».

ويبدو أن اختلاف الأصول العائلية لكل من القائد بوعبدلّي والباشا عبدالكريم، ربما كان هو الذي جعل القائد بوعبدلّي الذي ينتمي إلى عائلة من القواد متأصلة في قبيلتها إيكَدْمِيوْنْ العتيدة، يشعر بارتفاع شأنه، وبأحقيته في احتلال مكانة أكثر رفعة من التي يتبوأها الباشا بائع الغَزْل أو المغازل سابقاً.

ومما يؤكد ذلك ما جرى له مع باشا مراكش الجديد، بعد موت منافسه عبدالكريم بن منصور، الذي يشاع أنه قتل مسموما على يد الباشا مْسَاهَل أثناء حركته الأخيرة إلى نواحي دمنات.

حينما عين السلطان الغازي بوحفرة اللمطي، أحد عبيد الرمل الملتزمين الوقوف بين يديه، على مراكش وسوس، طلب القائد إبراهيم بوعبدلّي من السلطان أن يسمح بمرافقته للرجوع إلى داره بإيكَدْمِيوْنْ، فأجاز له ذلك. وحين وصوله إلى مراكش «شيع البراواتَ من هناك لقبائل الدير سهلا ووعراً (...) كل فريق يدعوه إليه للمجيئ، وأنه هو رب البلاد. وأتاه القوم بهداياهم، فكل من بلغ لمراكش يقصده ويعرضون عن بساط الغازي وإيوانه إلا النادر».

كل هذا جعل الغازي بوحفرة يحنق على القائد بوعبدلّي، واتفق مع أعداء هذا الأخير ومنهم القائد بنشتية الكَدميوي على الفتك به. وأعد وليمة كبيرة استدعى إليها شيوخ الدير وأبناء بوعبدلّي، واجتمع الجميع في الجنان الكبير بمراكش. وبعد الأكل ألقى القبض على بوعبدلّي وعلى إخوانه وأصحابهم، ولم يفلت منهم إلا الشيخ حمُّو بن عبدالقادر التيزكيني وهو من صناديد أصحابهم، الذي تمكن من الهرب حينما أحس بالمكيدة، وتمكن من الوصول إلى الجبل على ظهر فرسه. أما القائد إبراهيم بوعبدلّي ومن كان معه من الإخوان والأصحاب، فقد قتلوا خنقا حوالي عام 1718.

وهكذا اختفت هذه الشخصية المليئة بالطموح، دون أن تتجاوز مستوى الموروث العائلي من السلطة والجاه، رغم أن الشخص كان يبدو من خلال سلوكه ذكيا وشجاعا وسياسيا يعرف كيف ينسج شبكة من

العلاقات الضرورية التي لابد منها للخوض في المستوى الذي كان يخوض فيه. وصفاته هاته يذكر كثيراً ببعض من جاء بعده من قواد أطلس مراكش وديره كالگنتافي والگلاوي والمتوگي.. ولو لم تساعده الظروف للوصول إلى ما وصلوا إليه من قوة ونفوذ.

المصادر:

- عبدالله بن إبراهيم التاسافتي، **رحلة الوافد**... تحقيق صدقي علي.

بيذق

(أبو بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق) صاحب محمد بن تومرت ورفيقه الأول، ومؤلف كتاب **الانساب في معرفة الأصحاب**، وكتاب أ**خبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**.

لا نعرف شيئا عن تاريخ ولادته ومكانها ولا عن طفولته وأسرته. ولكننا نعرف أنه توفي في عهد يوسف بن عبد المومن، ولعل ذلك تم في أوائل توليته. يعتبر كتابه أخبار المهدي بن تومرت المشار إليه أعلاه، هو المصدر الوحيد لما نعرف عنه الآن. وفيه ورد إسمه هكذا: أبو بكر بن علي الصنهاجي المكني بالبيذق. فهو إذن من إيزناگن أو صنهاجة، ولكن من أي فريق منهم؟

لم نعثر على أية إشارة في كتابه توضح ذلك. غير أن صحبته المبكرة لابن تومرت، تجعلنا نميل إلى افتراض كونه صحبه من المغرب في رحلته إلى المشرق. وفي هذه الحالة، يكون أبو بكر من صنهاجة الأطلس الصغير، القاطنين إلى اليوم في قسمه الشمالي الشرقي، لأنهم جيران أرْغَنْ أو هرغة الذين ينتمي إليهم ابن تومرت. وربما كانا قد تعارفا في إحدى مدارس موطنيهما المتجاورين أثناء فترة التعلم الأولى.

وإذا لم يكن هذا الافتراض صحيحاً، فهناك آخر يمكن التذكير به، وهو أن الرجلين التقيا في المشرق، واقنع ابن تومرت أبا بكر بمصاحبته مع شخصيْن آخريْن هما يوسف الدكالي والحاج

عبدالرحمان، كما وقع له عبدالمومن بن علي وغيره بعد ذلك في حكاية نعرفها.

وكيفما كان الأمر، فإن أبا بكر بن علي الصنهاجي كان من أوائل من صحب ابن تومرت، حيث كان واحداً من الرجال الثلاثة الذين كانوا معه حين دخوله إلى تونس في طريق عودته إلى المغرب. وهذا ما يتبين من الفقرة التالية من كتاب البيذق: «... فلما كان بعض الأيام أمرنا [ابن تومرت] بالأخذ على أنفسنا، وقال لنا نتوجه إن شاء الله نحو الغرب، فخرجنا من تونس ونحن أربعة نفر كما كنا أول القدوم: سيدنا المعصوم رضه ويوسف الدكالي والحاج عبدالرحمان عبدكم الفقير المؤلف لهذا أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، فلم نزل نجد السير حتى وصلنا قسنطينة...» (50-51).

وبما أن يوسف الدكالي والحاج عبدالرحمان يحملان صفة الحاج في كتاب البيذق، فإن ذلك يرجح أنهما كانا من الحجاج المغاربة، وبالتالي فإن لقاءهما بابن تومرت ربما كان قد تم في الحج أو في مصر. وليس من المستبعد أن يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى البيذق.

أما عن كنيته «البيذق»، فإنه لم يذكر شيئا عن أصل تسميته بها. وإذا كان ليفي پروفانصال قد ذهب إلى أنها مأخوذة من الكلمة الفارسية، بيذق الشطرنج، فإننا نعتقد بأن إطلاقها بهذا المعنى القدحي، يعد من باب التنابز بالألقاب. ولا نظن أن ابن تومرت سيقبل هذا، خصوصا وأن أبا بكر الصنهاجي من الذين لازموه مدة طويلة.

ينبغي إذن أن نبحث عن معنى آخر لكلمة «البيذق» يصلح لتبرير قبولها كنية لأحد أصحاب ابن تومرت الأوائل.

إن كلمة البيذق تعني كذلك: الدليل في السفر، والماشي راجلا. وهذان المعنيان هما اللذان نرجحهما بخصوص كنية أبي بكر الصنهاجي، لأن هناك دلائل كثيرة تؤيد ما ذهبنا إليه.

لقد سبق أن ذكرنا بأن أبا بكر دخل إلى تونس مع ابن تومرت ورفيقين آخرين حين رجوعهم من المشرق في اتجاه المغرب. وربما كان سبب وجود أبي بكر الصنهاجي مع جماعة ابن تومرت هو كونه يعرف الطريق، وهذا لا يتأتى إلا إذا ذهب من بلده المغرب إلى الحج عن طريق البر، الشيء الذي لم يقع بالنسبة إلى ابن تومرت الذي وصل إلى الإسكندرية عن طريق البحر مروراً بالمهدية.

كان أبو بكر الصنهاجي هو الذي يقود مطية ابن تومرت في حلوله وترحاله. وقد وردت في كتابه عبارتان تثبتان ذلك. الأولى وردت حين حديثه عن غزاة هسكورة التي شج فيها ابن تومرت، حيث قال: «ورفعه اسحاق بن عمر ووسنار، وكان العبد الفقير المؤلف أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق يمسك البغلة تمويمق [اسم بغلة ابن تومرت]، ويخلف أسمكي يمسك الدرقة والرماح، فأتينا به حتى وصلناه المنزل ورجعنا للقتال...» (ص.76). ما الثانية فقد وردت حين حديثه عن إحدى جولات ابن تومرت في تينمل قبيل وفاته، حيث قال: «وكان مريضاً فقدت به البغلة فكان الشيخ أبو محمد عبدالواحد على يمينه والشيخ أبو محمد وسنار على شماله حتى وصلنا الدار...» أي دار ابن تومرت (ص. 80).

هذه المهمة -إمساك المطية وقودها- لا يقوم بها في جبال درن إلا من تتوفر فيه شروط منها: معرفة المسالك الجبلية الصعبة، ومعرفة

طبائع المطية المقادة، وتوفر الثقة في ماسك مقودها. لأن أي خطأ منه قد يؤدي إلى نفور الدابة وسقوط الراكب. ومثل هذه الحوادث في المسارب الجبلية قليلا ما تحمد عقباها.

فأبو بكر الصنهاجي كان إذن دليلا في السفر، وماشيا راجلا أمام بغلة الإمام المهدي ابن تومرت. غير أن استعمال كلمة البيذق للدلالة على هذه المهمة، لا يمكن أن يتأتى إلا لمن كان متمكنا من المعجم العربي تمكناً كبيراً. وليس في الجماعة الموحدية الأولى من يتوفر فيه هذا الشرط إلا محمد بن تومرت. وبالتالي فهو الذي يكون قد أطلق هذه الكنية على صاحبه. ولا يستبعد أن تكون الكنية الحقيقية لأبي بكر الصنهاجي هي أَفَدَدْ التي تعني بالأمازيغية: الدليل والرائد، فعربها ابن تومرت وأصبحت بيذق وهذا شيء محتمل جداً، لأننا نعرف أن ابن تومرت عرب أسماء كثير من أعضاء جماعة الموحدين، وأعطاهم كنى لم تكن لديهم من قبل.

وعن دور أبي بكر الصنهاجي في حركة الموحدين، سواء في عهد ابن تومرت أو في عهد عبدالمومن، فقد كان من أكثر الأدوار نشاطاً وحضوراً. فبالإضافة إلى كونه من المقربين إلى ابن تومرت منذ بداية أمره، ومن أوائل المبايعين له، شارك في جل غزوات الموحدين في عهد المهدي بما فيها غزوة **البحيرة** الشهيرة، والتي كان فيها -هو وعبدالمؤمن- من بين الموحدين القلائل الذين نجوا من الموت. كما شارك في المعارك الحربية الأولى في عهد الخليفة عبد المومن، والتي انتهت بسقوط مراكش في يد الموحدين.

ومشاركته هذه غالبا ما يشير إليها في كتابه باستعمال ضمير المتكلم، عند الكلام عن الأحداث التي حضرها. وهكذا يقول مثلا: «ونزلنا البحيرة وبقين بها أربعين يوما ...». «وأقبلنا على الكست» (غزو گزولة)، «أمرنا بالخروج» (غزوة تينلين)...

ولكن أهم أعمال أبي بكر الصنهاجي هي قبل كل شيء، كتاباه المشار إليهما في أول هذا العرض، ولولا ما يعتريهما من بتر مؤسف لسمحا لنا ولا شك بالتعرف عليه أكثر وعلى الموحدين المؤسسين وتارخيهم.

المصادر:

- أبو بكر الصنهاجي، **كتاب أخبار المهدي**... إخراج ليفي بروفنصال باريز 1928.

- محمد شفيق، المعجم العربي -الأمازيغي، ج. I، الرباط 1990، ص. 459.

- E. Destaing, **Vocabulaire français - berbère**, Paris 1920, p. 102.

تَـاعـْزَّابـْنـتْ ناصر

ذكرها مؤلف «رحلة الوافد...» أثناء حديثه عن «المقبرة الكبرى بعدوة وادي نفيس، التي الآن بقرب سور المدينة [تينملّ] عند الطريق...» قائلاً: «وفي وسطها[المقبرة] بيت المرابطة [التي] يقال لها تَعَزَّى بنت ناصر ومعها قبور أخرى في البيت، ما زال القوم يتبركون بها وبهم الآن...» (ص. 174).

هذه السيدة التي نعتها المؤلف المذكور بالمرابطة لا نعرف عنها شيئا، رغم أنها كانت لها بدون شك أهمية ما على المستوى المحلي، وإلا ما كان يبنى عليها وما كانت لتدفن في «المقبرة الكبرى» التي بها قبور الموحدين والصالحين والعلماء العاملين والسادات الأشراف على حد قوله.

المراجع:

- عبدالله بن ابراهيم التاسانتي، رحلة الوافد...، 1993، ص. 174.

تَـانْـكـيتْ

تَانْكيتْ: اسم امرأة أمازيغية من غمارة بشمال المغرب، أول من تحدث عنها، على ما يبدو، هو أبو عبيد البكري في كتابه «المسالك والممالك».

اشتهرت **تَانْكيتْ**، حسب ما نعرف عنها من خلال مصادر مناوئة، بالكهانة. ويبدو أنها لعبت دوراً أساسيا في الحركة التنبئية التي تزعمها ابن أخيها حمو بن منو المعروف باسم «حاميم» والتي ظهرت إلى الوجود في بداية العقد الثاني من القرن الرابع الهجري أو العاشر الميلادي وهي حركة مشابهة للحركة البورغواطية من جوانب متعددة.

كانت قبيلة مَجْكَسَة أو مَجْكيسَة (إيماجْكاسْنَ) الغمارية التي كانت تقطن بنواحي تيطّاونْ هي أولى القبائل التي آمنت بمذهب حاميم وعمته تَانْكيتْ.

وقد ورد اسمها عند البكري بهذا الشكل «تَانقيت» بالقاف بدل الكاف (المعقودة) على عادته في مثل هذه الحالة. ورغم أن جل المصادر الأخرى التي كتبت فيما بعد نقلت عن البكري، مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، أخبار تَانْكيتْ، فإنها كتبت اسمها بأشكال مخالفة لما ورد في الأصل. وهكذا كتبها مؤلف كتاب الاستبصار «تاليت»، وكتبها مؤلف الاستقصا -نقلا عن ابن خلدون- «تالية». ويبدو أن ابن

خلدون نقل ما يتعلق بهذا الموضوع عن ابن أبي زرع أي من القرطاس. والذي كتبها «تاليت» كصاحب الاستبصار.

والجدير بالذكر أن أحد أصحاب ابن تومرت العشرة كان اسمه هو يحيى بن تَنَجيتْ حسب ما ورد في كتاب المحلل الموشية.

أما عن معنى كلمة «تَانْـﯕيتْ» فإن الحسم فيه يبدو الآن صعبا. ولكن هذا لا يمنع ابداء بعض الملاحظات التي قد تكون صالحة في تقريب المعنى المطلوب.

لقد وردت كلمة «تَانْقيتْ» عند ابن البيطار في كتاب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، وقال عنها: «اسم بربري بافريقية وما والاها لنوع من النبات شوكي لا يسمو عن الأرض وعليه شهبة ظاهرة في أوراقه، وهي مشرفة وله أصول غائرة في الأرض...» (قارن مع لاووست في كتابه «الكلمات وأشياء أمازيغية» ص. 491).

ووردت كلمة «تَامـﯕيتْ» (ابدال الميم نونا والعكس واقع مألوف في الأمازيغية) عند شارل دو فوكو في معجمه بمعنى التي تشتهر بأعمالها المتميزة خيراً أو شراً.

وأخيراً نشير إلى أنه لا يستبعد أن تكون كلمة «تَانيتْ» التي هي اسم واحدة من الآلهة القديمة المعروفة في شمال إفريقيا، هي نفس الكلمة «تَانْـﯕيتْ»، إذا علمنا أن حرف الـﯕاف (بثلاث نقط فوق) تنطق ياء كذلك في مجموع اللغة الأمازيغية.

المراجع :

- البكري، المغرب (1956) ص.100، 107.
- ابن البيطار، الجامع، (1291هـ) ص. 134.
- ابن أبي زرع، القرطاس (1973)، ص. 99.
- مجهول، الاستبصار، (1985) ص. 191.
- مجهول، المحلل الموشية (1979) ، ص. 108.
- الناصري، استقصا (1954)، ج. I، 192 .
- العلوي، مجلة البحث العلمي، عدد 27، ص. 222، وعدد 31، ص. 29-35.
- شارل دو فوكون، معجم (بالفرنسية) (1951) ج I، ص. 379،
- G. Marçais, **La Berbérie**..., (1946), p. 128.

المهدي بن تومرت

اسمه الكامل حسب ما أورده أبو بكر الصنهاجي (البيذق) هو محمد بن عبد الله بن وكليد ابن يا مصل[1]. وهو ما أكده ابن القطان [2]. وقد اختلف المؤرخون في هذا الموضوع اختلافا كبيراً لا مجال لذكره هنا. ومن أراد الإطلاع على ذلك فليراجع: المصدرين المذكورين أعلاه. وابن خلدون[3]. وأمبروسيو هويسي ميراندا[4] ورشيد بورويبا[5]. وغيرهم ممن اهتموا بالموضوع. وقد أثبتنا اسم ابن تومرت مقتصرين على جده الثاني لأننا نعتقد أن بقية نسبه كما أورده المؤرخون غير ثابت.

وعن تاريخ ولادته التي اختلف فيها أيضا، نرجح التي أوردها ابن خلكان[6]، لأنها أقرب إلى الصحة، أي 10 محرم 484/5 الموافق لمارس 1091، وتوفي اعتماداً على المشهور يوم رمضان 2/524 شتنبر 1130[7] أو رمضان 20/524 غشت 1130[8].

وابن تومرت أبرز وأعظم شخصية في تاريخ المغرب الإسلامي، ومحاولته الأصيلة في ميدان التنظيم السياسي والاجتماعي فريدة من نوعها، ورغم ذاك، فإنه لم يحظ بعد باهتمام يكون في مستوى عبقريته.

المراجع:

(1) أخبار المهدي، ص. 21، النص.

(2) نظم الجمان، ص. 34، النص.

(3) العبر، ج. 6، ص. 225 و226 .

(4) تاريخ الدولة الموحدية، ج. 1، ص. 27.

(5) ابن تومرت، ص. 15 .

(6) وفيات الأعيان، ج. 4، ص. 144.

(7) أخبار المهدي، ترجمة، ص. 134 وحاشية رقم 1، النص، ص.83 .

(8) بورييا، ابن تومرت، ص. 75.

المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية

أكادير

«**أكادير**» (تجمع على «إيكُودَارْ») من الكلمات المستعملة في المجال الأمازيغي - بجانب مرادفتها «إيغْرْمْ» (جمعها «إيغْرمَانْ») -لتدل على الحصن أو المخزن الجماعي أو القرية أو المنزل المحصن أو القصبة كما تدل عموما على أي جدار كيفما كان حجمه ومادة بنائه ووظيفته والكلمة قديم استعمالها. فقد كانت اسماً لمدينة قادس القديمة، ولقلعة موحدية بضاحية اشبيلية، لمدينة تلمسان وربما لمدينة الصويرة كذلك (مْ - وُكادير = مُوكادُورْ؟)، بالإضافة إلى المدينة المغربية الحالية : أكاديرْ نْ - يغيرْ.

تنتشر الكلمة بكثرة، اسماً للأماكن، في الجنوب الغربي للمغرب بما في الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس والأطلس الصغير. في حين تحل محلها كلمة «إيغْرْمْ» في الأطلس الكبير الأوسط والشرقي والأطلس المتوسط والجنوب الشرقي من تَازْنَاخْتْ إلى تافيلالت. كما تنتشر بصيغة التصغير: «تاكاديرْتْ» / تيكيدَارْ = (تيغْرْمْتْ/تيغْرْمينْ/تيغْرْمَاتينْ) أو بصيغة الجمع: «إيكُودارْ».

تتميز هذه المؤسسات بكونها تبنى عادة على مرتفع من الأرض، يصعب اقتحامه، ويسهل الدفاع عنه. وربما كان هذا هو الأصل في تسمية الجرف كذلك بـ «**أكاديرْ**» أو بـ «**أجّدير**»، في كل من منطقة «القبائل» بالجزائر ومنطقة الريف بالمغرب.

أما الغاية من بنائها، فليست هي السكن الدائم للجماعة التي بنتها -باستثناء قصبات الأعيان أو ممثلي السلطة- بل لخزن ثرواتها من حبوب وزيوت وغيرها، وللالتجاء إليها في حالة الحرب. كما تكون مكانا للمبادلات التجارية ولبعض الصناعات كالحدادة والتعدين وصناعة الأسلحة أو إصلاحها والحلي... وربما كان بعضها يستعمل منزلا (نزالة) للقوافل، إذا كان موقعها على الطرق التجارية.

وقد تكون ملكا جماعيا لسكان قرية واحدة، أو لمجموعة من القرى المتجاورة أو لـ «قبيلة» بأكملها. كما أن بإمكان الجماعة المالكة أن تقبل لجماعة أخرى لا تتوفر على «**أكادير**» خاص بها، أن تضع مخزوناتها في حصنها، بعد اتفاق الجميع، مع احترام الأعراف الجاري بها العمل طبعاً.

تبنى «**أكاديرْ**» بتعاون الجماعة، ويكون تصميمه على شكل مربع تعلو زواياه أبراج للمراقبة، أو على شكل مستطيل بدون أبراج، وقد يتخذ شكلا هندسياً آخر، وذلك حسب المناطق، ومدى ما تتوفر عليه الجماعة من امكانات مادية وبشرية. ويتكون من عدة طبقات، قد تصل إلى خمس. وتقسم كل الطبقة إلى غرف مفتوحة نحو الداخل، وهذه الغرف هي التي توزع على المستفيدين أسراً وعشائر. وفيها يضعون خزائنهم ويغلقونها، وتسمى بالأمازيغية «أكَنَارْ» وجمعها «إيكَنَارَنْ».

كما يتوفر عادة على مسجد وخزان للماء (مطفية)، ومسكن للحارس، وفضاء للمواشي يكون بين السور الخارجي، المكون من النباتات الشوكية والسور الداخلي المبني بالحجر أو الطين المكبوس.

إن الاستفادة الجماعية من مؤسسات «**إيكودارْ**» اقتضت اعتبارها شخصية معنوية، تنظم سيرها أعراف شفوية أو مكتوبة يعرفها الجميع ويحترمونها، لا لأنها تضم بنودا زجرية، تنفذ عند الاقتضاء بكل صرامة فحسب، ولكن لأن مؤسسة «**أكاديرْ**» تحاط بهالة من الاحترام، وتكتسب في نفوس الناس هيبة الحرم، بحيث لا يجرؤ أحد على ارتكاب ما لا يليق داخلها. يشرف على تسيير هذه المؤسسة، والبت في ما قد يطرح بسببها من مشاكل، مجلس «إينفلاس» أو أعضاء الجماعة.

ومع أن الكل مسؤول على أمن «**أكاديرْ**»، فإن الجماعة توظف شخصا بأجر، يقوم بالحراسة الدائمة، ويكون مقيما داخله. كما تفرض على كل الأسر المستفيدة، أن تعين بالتناوب فردا منها للقيام بواجب الحراسة لمدة يوم واحد.

إن وجود مؤسسة «إيكُودارْ» بكثرة تلفت النظر، في المنطقة شبه صحراوية وجنوب المغرب بصفة عامة، بما في ذلك جبال الأطلس، يدعو إلى الاعتقاد بأن سبب ذلك راجع إلى أمور ثلاثة :

- ضرورة خزن المواد المتوفرة في سنوات الخصب، حتى يستعان بها على السنوات العجاف خصوصا في منطقة تتأثر أكثر من غيرها بالمناخ الصحراوي، والدورات المناخية المتعاقبة بين الجفاف والرطوبة.
- كون المنطقة غير خاضعة تماما لسلطة مركزية قارة، مما يجعل المجموعات المتساكنة في مواجهات مستمرة فيما بينها.
- كون المنطقة معرضة أكثر من غيرها لهجمات المجموعات الراحلة التي تجوب الصحراء وتخومها.

إن أهمـيـة «إيگودار» لا ترجع فـقـط إلى وجـود هذه البنايات المتخصصة -نويات المدن المصغرة- عبر مناطق واسعة من المغرب، بل ترجع كذلك إلى دورها في حياة الجماعة، وإلى الكيفية التي تم بها توظيفها على مستوى القانوني، لتساهم بفعالية في بقاء الجماعة وتلاحمها. «أكادير» والأرض هما المركزان الأساسيان اللذان تتمحور حولهما حياة الفلاحين. لذلك نجد أن المجهودات التنظيمية انصبت كلها عليهما، مما نمّى لدى هذه الجماعات حسا مرهفا على مستوى التقنين وحرصا كبيرا، بلغ حد المبالغة، على تحدي الدقة في تفصيل القواعد والنوازل.

المراجع المعتمدة :

- Ch. de Foucauld, **Reconnaissance au Maroc** (1883-1884), Editions d'aujourd hui, Var. 1985, p.62.
  - Id. **Dictionnaire Touareg-Français**, Imprimerie Nationale de France, 1951, t.I, p.400.
- P. Dupas, «Note sur les magasins collectifs du Haut-Atlas Occidental», dans **Hespéris**, Tome IX, année 1929, 4^{e} tr. pp. 303-321.
- R. Montagne, «Un magasin collectif de l'Anti-Atlas, l'Agadir des Ikounka», dans **Hespéris**, Tome IX, année 1929, 2^{e} - 3^{e} tr. pp. 145-266.
  - Id. **Villages et Kasbas berbères**, Paris, 1930, ch. IV.

- Id. **Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc**, Paris 1930, pp.253 sqq.
- E. Laoust, **Mots et Choses berbères**, Société marocaine d'Edition, Rabat, 1983, p.3 n° 5.
  - Id. «L'habitation chez les transhumants du Maroc central», Paris, 1935, p. 214-215.
  - Id. **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris 1942, p.70.
- J.Berque, **Structures sociales du Haut-Atlas**, Paris 1955, p.35, n.1
- J. Despois, «Les greniers fortifiés de l'Afrique du Nord», dans Cahiers de Tunisie, Tunis, 1954, pp. 1-58.
- J. Gattefosse, «Les greniers de falaise forme ancienne d'Agadir collectif», dans Bulletin de a société de préhistoires du Maroc, Rabat, 1934, n° 1 et 2, 1^{e} et 2^{e} trimestre.
- J. Meunié, **Les greniers citadelles au Maroc,** Paris 1951,
- Nait - Balk H., **Approche archéologique et architecturale des Igoudar de l'Anti- Atlas et de leur rôle socio-économique,** D. E. A. Paris I, 1986.
- G. Camps, **Berbères aux marges de l'histoire**, Ed. des Hespérides, Toulouse, 1980, pp.280, sqq.

أكْدَالْ

«اكْدَالْ» كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل «كْدَلْ» الذي يفيد معنى الحماية والمحافظة والمنع أو التحريم، وتجمع على «إيكْدَالَنْ» أو «إيكدلاَنْ»، وهي تعني بصفة عامة: المكان المحمي حماية مادية أو معنوية، مؤقتة أو دائمة، قصد تحقيق المصلحة والاستفادة المثلى منه. وهكذا تطلق على منطقة الحُرُم بضريح وليّ أو بجواره، ملجأ الخائف أو المطارد/وعلى المراعي – صغيرة كانت أو كبيرة، أو مسيجية أم لا، سواء وجدت بالجبل أو السهل- التي يمنع الرعي فيها مؤقتا، بغية نمو عشبها وتمكن عروقه، ويباح فيها بعد استنزاف مراعي أخرى/وعلى البساتين الشاسعة المسورة. وبهذا المعنى خصصت في المغرب لتدل على الحدائق السلطانية الموجودة في العواصم: مراكش، ومكناس، والرباط. وتطلق كذلك على المروج المتناثرة على ضفاف الأنهار الجبلية، والتي تحاط عادة بسياج من الحجر حفظا لها من الحيوانات التي تتسرب إليها قبل الأوان الملائم.

وقد لوحظ أن كلمة «**اكْدَالْ**» توجد بنفس المعنى في مجموع شمال إفريقيا. غير أن أسماء الأماكن التي لا تزال تتسمى بها في المغرب، تفوق عدداً غيرها في مناطق أخرى. والكثير منها في المغرب يوجد في الأطلس الكبير الغربي. وفي هذه المنطقة على الخصوص لعبت المراعي الجبلية العليا دوراً هاما في حياة المجتمعات الجبلية،

سواء في علاقاتها مع بعضها البعض، أو في روابطها مع التي تجاورها من ناحية الأراضي السهلية. وهذا راجع إلى أهمية الأنشطة الرعوية وتربية المواشي في جبال تقل فيها الأراضي الزراعية، ويتطلب فيها ما وُجد منها جهداً كبيراً ومستمراً، مع ضعف كبير في المردودية الزراعية.

وتزداد أهمية هذه المراعي العليا بصفة خاصة، في عصور الأزمات المختلفة، التي يضطر معها سكان الجبل إلى عدم مد أنشطتهم الفلاحية في اتجاه السهول الشمالية – الغربية، والتي كانت تكون دوما امتدادا طبيعيا لمجالهم الحيوي. تزداد أهميتها حينذاك فيقع عليها التهافت، مما يؤدي أحيانا إلى وقوع نزاعات بين المستفدين. لهذا أحدثت طقوس وأعراف وعقود، تنظم استغلال هذه الأماكن الحيوية استغلالا جماعيا، دون أن يؤدي ذلك إلى وقوع اختلافات قد تضر بالجميع.

اشتهرت كلمة «**اكدال**» عند سكان بعض المدن المغربية الكبرى على الخصوص، لأنها تطلق على البساتين السلطانية في كل من مراكش والرباط ومكناس. ورغم أن فاس لم تسمّ -على ما يبدو- بستانها السلطاني باسم «اكدال»، فإنه كان، رغم ذلك، موجودا منذ عهد الموحدين: المصارة، على ما ذكره ابن أبي زرع في قرطاسه.

إن عادة أحداث البساتين الكبيرة، وتزويدها بالمياه الجارية، وبناء صهاريج كبيرة لسقيها، داخل أسوار المدينة أو بجوارها، مع إحاطتها بسور، ربما ظهرت لأول مرة بالمغرب في عاصمة المرابطين مراكش. ثم ترسخت واتخذت أبعادا كبيرة في عهد الموحدين، وخاصة منهم الثلاثة الأوائل. أما في العهود الموالية، فقد عرفت هذه البساتين

فـتـرات من الإهـمـال وأخـرى من الاهـتـمـام، حـسب الظروف العـامـة وشـخصـيـة السـلاطين. وأهـم العـهـود التي تم فـيـهـا الاهـتـمـام بها بعـد الموحدين هـي عـهـد المنصـور السـعدي والمولى إسـمـاعيل ومـحـمـد بن عبدالله والمولى عبدالرحمان وابنه محمد.

أمـا عن الفائدة المقصودة من إنجاز هذا النوع من الحدائق فمن المؤكـد أنهـا مـتـعـددة الجـوانب. فـجـانب المصلحـة الاقتصادية الأكيد وخـاصـة في أوقـات الأزمـات، هناك دورها في تلطيف الطقس خـلال الفصـول الحـارة على وجـه الخـصـوص. ثم الرغـبـة في توفيـر مـتنزهـات للأعداد الكبيرة من حرم وحشم القصور السلطانية، بالإضـافة إلى هيبة التميز التي تكسبها للحكام في عيون السكان والزائرين من الأجانب.

وفي الخـتام تجـدر الإشـارة إلى أن بسـاتين «أكـدال» في الحـواضـر المشار إليهـا، تحـولت مواقـعـهـا الأولى إلى أحـيـاء سكنيـة، مـع احـتـفـاظهـا بالاسم. وإذا بقـيت خضـراء، كـمـا هو الشـأن في مـراكش، فـالأمـر يتـعلق بإضافات محدثة أو بجزء صغير من البستان الأصلي.

المراجع :

- E. Laoust
    - **Mots et choses berbères**, Paris, 1920, Rabat 1983, p. 260, 475.
    - **L'Habitation chez les transhumants du Maroc central**, Paris, 1935, p.220 sqq.
    - **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, p. 45.

- J. Dresch.
    - «Documents sur les genres de vie de montagne dans le massif central du Grand-Atlas», **Commentaire**, Paris, 1941, pp. 18sqq3.
- E. Destaing,
    - **Vocabulaire Français-Berbère,** Paris, 1920, p. 234.
- J. Berque,
    - **Maghreb histoire et société**, Alger, 1974 (Duculot S.N.E.D), pp. 11 sqq.
    - **Structures sociales du Haut Atlas,** Paris, 1955, pp. 108 sqq
- G. Deverdun,
    - **Marrakech, des origines à 1912**, Rabat, 1959, pp. 88, 194,195, 204, 243-244, 390 sq,491 sq, 522 sq, 527 sq.

(6) مـجـهـول، الحلل المـوشـيـة، تحـقـيق سـهـيل زكـار وعـبـدالقـادر زمـامـة، الدارالبيضاء، 1979، ص. 46، 145.

(7) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القـرطاس، الرباط، 1973، ص.41، هامش 407،33 .

(8) مـحـمـد الصـغيـر الوفراني، نزهة الحـادي، تصـحيح السـيـد هوداس، باريس 1888، الطبعة الثانية، الرباط، بدون تاريخ، ص. 112 .

(9) الناصري، الاستقصا، الدارالبيضاء، 1956، ج. 9 ص. 13، 115.

(10) محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق أحمد العماري، الرباط 1986، ص. 106.

(11) عبدالعزيز بنعبد لله، الموسوعة المغربية، المحمدية 1981، ج. 4، ص. 106.

أكراوْ

«أڭرَاوْ» (ج إيڭرَاوْنْ) من الكلمات الأمازيغية المؤسسية التي لم ترد كثيراً في مصادرنا المكتوبة. ويبدو أن سبب ذلك راجع إلى كونها استبدلت مبكراً بكلمات أخرى من أصل عربي هي: «الجماعة» أو «أيت ربّعين» أو «أيت العرف» أو «الديوان» [1].

أقدم مصدر معروف يشير إلى هذه الكلمة هو كتاب أخبار المهدي (ق.12م)، حيث وردت في العبارة التالية: «... فعمل لهم الخليفة [عبدالمومن بن علي] أڭرَاوْ يعظهم فيه...» [2]. ويظهر من السياق أن اللفظ يعني هنا: المجلس/اللقاء/الاجتماع... قصد التذاكر والتفاوض والتشاور وتبادل الرأي.

وبهذا المعنى ذكره روبير مونتاني، حيث قال: «إن الإمام المعصوم غالبا ما يجمع هو بنفسه أنصاره في «**أڭرَاو**» -وهي كلمة تعني في مجموع المغرب الأمازيغي «جماعة» كل رجال قبيلة ما المؤسسة قصد التداول فيها بينهم» [3].

وفي مكان آخر يشير نفس المؤلف إلى أنه حينما يحضر كل الرجال مداولات القرية أو «الخمس» أو القبيلة وهم حاملون السلاح، فإن المجلس في هذه الحالة يحمل اسم «أڭرَاو» [4]. وهذا يعني أن الأمر هنا يتعلق بتجمع أزمة، لا باجتماع عادي لأعضاء الجماعة.

غير أن الرجوع إلى الأصل اللغوي للكلمة، يلقي أضواء كاشفة على أسرار مدلولها التاريخي، والمقاصد الأولى من المؤسسة التي كانت علماً لها.

لقد علق روبير مونتاني على كلمة «أڭرَاو»، ذاكرا أنها أمازيغية مأخوذة من الفعل «**ڭرُو**» الذي يعني اجتمع، مضيفا في الوقت ذاته أنها ترادف ما يسمى «**أجْمُوعْ**» أو «**الجماعة**» في أماكن أخرى [5]. ونفس الفعل يستعمل اليوم بمعنى جَمَع، التقط شيئا معينا كالزيتون وأرْكانْ والحبوب... فالجمع والالتقاط ليسا هنا بالمعنى المطلق، لأن شرط الاختيار متضمَّن في الفعل.

وإذا رجعنا إلى المعجم، نلاحظ أنه بوضع أكثر المعاني المجردة التي تؤديها مادة «**إيكرُو**» (- **إيكرًا**) التي اشتقت منها كلمة «**أڭرَاو**»أو **تاڭراوْتْ**. ومن أبرز هذه المعاني ما يلي: التمييز مع المعرفة والفهم/القدرة على التمييز الدقيق بين الصحيح والخاطئ، بين الحسن والقبيح/القدرة على الحكم الصحيح على الأشياء/القدرة على تحقيق الأمور والأشياء، القدرة على الانتباه مع اليقظة الفكرية/التحلي بالجدية والأناة وملازمة التصرف الوقور... [6].

من كل ما سبق يمكن أن نستنتج إذن أن «أڭرَاو» هو مجلس الجماعة الذي يتكون من أفراد مختارين لخصالهم الحميدة، يتكلفون بتصريف الشؤون العامة على أحسن وجه.

المصادر :

(1) انظر :

- R. Montagne. **Les berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, pp. 62, 175, 220, sq.

- H. Bruno, «Notes sur le Statut Coutumier des Berbères marocains», dans les **Archives Berbères**, vol 1, Fasc. 3, année 1915-1916, Paris 1996, pp. 135, sq.

- Id., «Introduction à l'étude du droit coutumier des berbères du Maroc central», dans les **Archives Berbères**, vol. 3, Fasc. 4, Année 1918, Paris 1918, pp. 306, sqq.

(2) أبو بكر الصنهاجي البيذق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ليفي پروڤانصال، باريس 1928، النص، ص. 95.

(3) مرجع السابق، ص. 62.

(4) المرجع السابق، ص. 175.

(5) المرجع السابق، ص. 175، تعليق رقم 1.

(6) انظر :

- Ch. Foucauld, **Dictionnaire Touareg- Français**, Imp. Nationale de France, 1951, p. 473.

أمْـزْوارْ

«**أمْـزْوارْ**» في المفرد و«**إيمْـزْوارْنْ**» في الجمع، كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل «إيزْوَارْ» أو «إيزْوُوْرْ»، الذي يعني: سبق/تقدم/ترأس. فـ «أمْـزْوَارْ» إذن تعني: السابق أو الأول/المتقدم أو المقدم/الرئيس أو المترئس... في كل شيء ومن كل شيء، في الزمان والمكان، سواء تعلق الأمر بالإنسان أو الحيوان أو الجماد أو المعاني المجردة.

وهي التي نصادفها في المصادر المكتوبة بالعربية مرسومة هكذا: «**مـزوار**» بحذف حرف «أ»، أو معربة أحيانا بإحلال لفظي «مقدم» أو «نقيب» محلها.

إن الانتشار الواسع لكلمة «**أمْـزْوارْ**» في المجال الأمازيغي، في مجموع شمال إفريقيا، دليل على قدمها، وقدم المؤسسات الجماعية التي وظفت فيها. وكلمة «أمْـزْوَارْ» لا تظهر، على مستوى الجماعات المحلية أو التجمعات الدينية أو الحرفية، ككلمة محملة بمضامين السلطة المخيفة أو القهر الجائر، بل محملة بمضامين الحكمة والرزانة والهيبة. لأن «**أمْـزْوارْ**» في هذه الحالة، شخصية منبثقة من الجماعة وباختيارها. ووظيفته هي حماية المصالح العامة، ودرء كل ما يهدد وجود الجماعة وتماسكها وأمنها.

وهكذا نتعرف على الكلمة عند البيذق بمعنى «رئيس الفخذ أو القبيلة في نظام الموحدين»، ويميز بين «مَزْوار للقِدَم أعني الموحدين الأصليين ومزوار للمضاف منهم، وهم المسمون بالغزاة» (ص.47).

وقد استعملت الكلمة في ما بعد، في مختلف العصور، وفي كل مناطق المغرب الكبير، لقبا لشخصيات احتلت مناصب عالية في أجهزة مختلف الدول المغاربية. كما تسمى بها أشخاص احتلوا مناصب دنيا من حيث الأهمية سواء على مستوى الإدارات المركزية أو المحلية.

وبقيت الكلمة بعد ذلك مستعملة، وتطلق على رئيس الجماعة التي يشرف على تسيير شؤون القرية أو «القبيلة»، والذي ينتخب أو يعين لمدة سنة من بين أعضاء الجماعة. كما تطلق أحيانا على شخص يطلب منه أن يكون أول من يدشن عملا هاما أو صعبا، تيمناً به واستجلابا للسعد والخير. وبهذا المعنى نلاحظ أنها تقترب كثيراً من لفظ «أنْفلوسْ».

وإذا كان «**أمَـوزّرْ**» عند التاركيين (التوارك) - وهي صيغة أخرى لـ «أمَـزْوارْ» - كممارس للسلطة، يكاد يرادف «أمَغارْ»، فإنهما في نظرنا، يختلفان من حيث مصدر سلطة كل منهما، في البداية على الأقل. فالأول يستمدها من إرادة الجماعة، والثاني يستمدها من فرض إرادته.

لقد توارت بعض استعمالات كلمة «أمَزْوارْ» في المجال التنظيمي ولكنها لا تزال حية في باقي المجالات الأخرى.

المراجع :

(1) أبو بكر الصنهاجي البيذق، **كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**، تصحيح وترجمة إ. ليفي پروفانصال، باريس، 1928، ص. 41 وما بعدها، 47.

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français**, I.N.F., 1952, t. IV, p.1982, sq
- E. Destaing, **Vocabulaire Français - Berbère,** Paris, 1920, p.229
- E. Laoust, **Siwa,** Paris, 1932, t.I, p.244
- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 62, 134, 222
- **Encyclopédie de l'Islam,** N.E., 1975, t.I, p.1214
- **Encyclopédie Berbère**, Edisud, Aix-en-provence, 1987, IV, pp. 622, sqq.

- في هذا المرجع الأخير مقال هام تتبع فيه صاحبه تطور استعمالات كلمة «أمَزْوارْ» عند الدول المغاربية. كما أعطى بيبليوگرافيا موسعة جد مفيدة.

أمْغَارْ

«**أمْـغَـارْ**» وجمعها «**إيمْـغَـارْنْ**» كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل «إيمْـقُّـورْ»، وتعني الضخم أو الكبير أو العظيم أو المسن من الأشياء والأحياء، كما تعني المرء العالي الشأن والقدر والدرجة داخل مجتمعه وتطلق كـذلك على الحـاكم والرئيس وكل من يمـارس سلطة مـا في المجتمع ثم اقتصر إطلاقها على شيخ القرية أو الفرقة أو القبيلة.

وبهذا المعنى الأخير اكتسبت مدلولا تاريخيا، ارتبط بتطور أوضاع المجتمعات الأمازيغية، الجبلية منها على الخصوص، على مستوى التنظيم السياسي والمجتمعي، بين التسيير الجماعي والديموقراطي، والهيمنة النخبوية الأوليگارشية والحكم الفردي الاستبدادي.

فإذا كانت كلمة «**أمْزوَارْ**» مرتبطة بالتسيير الجماعي الديموقراطي الإنفلاسي - في أحسن الأحوال على أقل تقدير - فإن كلمة أمغار وثيقة الصلة بالنظام الاوليكارشي والاستبدادي في غالب الأحيان. وخاصة إذا كانت وظيفة «**أمْـغَارْ**» مرتكزة أساسا على سلطة عليا كسلطة القائد أو العامل، لا على أسس التوازن المنبثقة من تعامل مختلفة الفعاليات المحلية، سواء على مستوى المجموعة التي يشرف عليها، أو على مستوى علاقاتها مع المجموعات الأخرى المجاورة.

ومع ذلك يبقى مشكل تحديد المعنى الدقيق للمدلول الوظيفي، مرتبط بالظروف الوقتية لكل حالة، وبطبيعة العلاقة بين «أمْـغـارْ» الحاكم وجماعته هذه العلاقة التي تخضع بالضرورة لمتطلبات النسيج المجتمعي بكل أبعاده، داخل المجموعة ذاتها.

إن أقدم استعمال لكلمة «**أمْغَارْ**» في المصادر المكتوبة، حسب ما نعلم، ورد في كتاب **أخبار المهدي** للبيذق، الذي ذكر أن والد الإمام المهدي كان ينعت بها. ويبدو أن إطلاق لقب «**أمْـغَارْ**» على أبيه، يعني أنه كان يمارس وظيفة المشيخة في قومه. والدليل البارز على ذلك هو أن الإمام المهدي نفسه «كان يلقب في صغره أيضا أمغار»، وسمي أخوته «أيتْ أمغار» أو بنو أمغار. كما كان جده من أبيه يلقب ب «أكلِّيدْ» ومعناها السلطان أو الأمير أو الملك.

إننا لا نعرف بدقة كيف ومتى تم تحول المجتمعات الجبلية من نظام «إينْفْلاسْ» و «أمْزْوَارْ»، الذي يسود فيه نوع من الديموقراطية البسيطة إلى نظام مجالس النخبة أو «أيت اربعين» و «**أمْـغَارْ**»، الذي تكون فيه القوة أساس الحكم. ثم إلى نظام «**إيمغارن**» الذي استغنى فيه عن المجالس الجماعية، وأصبح فيه الحكم فرديا يتوارث.

ولكننا نعرف أن الصراع بين الأنظمة المذكورة كان دائما متوقداً، تغذيه الأزمات المختلفة، وتميل به الظروف نحو ترجيح كفة واحد منها. وبما أن الأزمات المقصودة كثيرة ومتوالية، لأن منها ما تسببه الطبيعة، ومنها ما ينتج عن السياسة المحلية أو المركزية، فإن ذلك الصراع اتسم بالحدة وطول المدة، بحيث لم يحسم في بعض المناطق الجبلية إلا في القرن العشرين. والحسم كان طبعا لصالح «إيمغارن»، الذين أصبح

بعضهم قوادا يستمدون سلطتهم من دعم المخزن المركزي غير أن هذا الاتجاه بدأ يتغلب، على ما يبدو، قبل التاريخ المذكور. ويظهر ذلك بوضوح من خلال كتاب رحلة الوافد التي كتبها ابن شيخ زاوية تاسافت بوادي نفيس، في النصف الأول من القرن الثامن عشر. حيث يظهر وادي نفيس والمناطق المجاورة له موزعا على عدد كبير من «إيمغارن» الذين كانوا يمارسون الحكم في مناطقهم، بشكل يكاد يكون فرديا، لأن مجالس الجماعات لا نكاد نجد لها أثرا، في مجال تسيير شؤون المجموعات المختلفة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.

إذا كان نظام «إيمغارن» حلقة متوسطة بين نظام الجماعات ونظام القواد، فإن ظهوره كان نتيجة للتطورات السياسية المحلية، في حين نلاحظ أن تحوله بعد ذلك إلى نظام القواد، ناتج عن السياسة المخزنية التي تفضل التعامل مع حكام أقوياء، يضمنون لها خضوع السكان وجمع ما ينوبهم من ضرائب.

ورغم أن وظيفة «أمَغَارْ» بقيت حية في ظل نظام القواد، فإن مدلولها الأول كمؤشر مجتمعي تغير كثيراً، واكتسبت معنى آخر يقتضي تحديدها ودمجها في إطار أجهزة الدولة المركزية.

المراجع :

- أبو بكر الصنهاجي البيذق، **كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين**، تصحيح وترجمة أ. ليفي بروفانصال، باريس 1928، ص. 29، 30، 116، 118 وما بعده.

- الناصري (أحمد بن خالد)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الدارالبيضاء، 1954، ج. II، ص. 76 .

- بنعبدالله (عبدالعزيز)، **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية** ، 1981، ص. 124 وما بعدها.

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français,** Imprimerie Nationale de France, 1952, t. III, p. 1235.

- Id. **Reconnaissance au Maroc**, Var, 1985, p. 91-92.

- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 134, sqq.

- **Encyclopédie de l'Islam,** N.E., 1975, t. I, p.446, 1214, sq.

- **Encyclopédie Berbère**, Edisud, Aix-en-Provence, 1987, IV, p. 590-591.

أمَنُوكَال

«أمَنُوكَال» وتجمع على «إيمَنُوكَالَن» (مؤنثها «تَامَنُوكالت»/«تامنوكَالين»، كلمة أمازيغية تستعمل عند التاركيين سكان منطقة الهُوكَّار، لتدل على الرئيس الأعلى الذي تعلو سلطته سلطة زمنية أخرى داخل مجتمعه. ويختار من العائلات المعروفة بالرئاسة، من قبل «إيمَغَارَن» أي من شيوخ كل المجموعات المكونة لفدرالية أو كونفدرالية مَّا.

يتم اختيار «أمَنُوكَال» من بين مرشحين عديدين، من ذوي الحق في ارتقاء هذا المنصب، وهم عادة معروفو النسب. ولكن مقاييس أخرى تتدخل لترجح مرشحا على الآخرين. منها قوة الشخصية ومتانة الجسد وتوفر الشجاعة والكرم والتمتع باحترام الجماعة، نتيجة ما يتحلى به المرشح من مزايا أخلاقية ومهارة سياسية، ويقظة فكرية. ويمكن تنحيته إذا تبين أنه لم يحترم شروط العقد الذي يربطه بشعبه، أو أنه عاجز عن القيام بمهامه أحسن قيام.

إن العقد المقصود هنا هو مجموع التقاليد والأعراف والقواعد الأخلاقية التي تتحكم في سلوك مجتمع «إيهَكَّارَن» وتصوراته، وهو مجتمع من الرحل الصحراويين.

أما مهام «أمَنُوكَال» فتتلخص في القيام بدور التحكيم والقضاء في النزاعات والمخالفات، وبدور القائد في الحروب. فهو المسئول الأول عن أمن شعبه وتماسكه وبقائه.

وقد اتسع الحقل الدلالي لكلمة «أمَنُوكَال» في ما بعد، فأصبحت تطلق على رئيس سياسي كالإمبراطور والملك والسلطان والأمير ورئيس القبيلة وكبار ضباط الجيش ورؤساء الإدارات المدنية، كما يتسمى بها كل شخص يتوفر على ثروة أو على مزايا أخلاقية أو فكرية أو جسمية. كما يلقب بها كل الأفراد المنتمين إلى أسرة «إيمَنَان» بأجَّار شمال شرق بلاد أهُوكَّار، سواء كانوا صغارا أم كبارا، رجالا أم نساء ولو لم تكن وضعيتهم المجتمعية تقتضي ذلك. وهذا راجع إلى كونهم يعتقد أن نبلهم يتحقق بالولادة، لأن أجدادهم البعداء كانوا - في نظرهم - أسيادا في منطقة الهوكار.

المراجع :

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg - Français**, I.N.F., 1952, pp. 1207, 1213 -14.
- **Encyclopédie de l'Islam**, N.E., 1975, I., p. 445, 1214.
- **Encyclopédie Berbère**, Edisud, 1987, IV, pp. 581-589.

أيْتْ رْبْعِين

«**أيْتْ رْبْعِينْ**» عبارة تطلق في مجموع المغرب الناطق بالأمازيغية على مجلس «القبيلة»، الذي يكون المؤسسة الأساسية في الجمهوريات الجبلية المستقلة. ويختلف عن «لْجْمَاعْتْ» أو جماعة القرية بكون هذه الأخيرة تضم جميع ممثلي عائلات القرية، في حين لا يضم مجلس «أيْتْ رْبْعِينْ» إلا ممثلا واحدا عن كل فرقة أو «إيخْصْ» أو عن كل قرية أحيانا. هذا من الناحية المبدئية، أما من الناحية العملية، فيبدو أن العضو الممثل في مجلس «**أيْتْ رْبْعِينْ**»، يكون عادة من الموسرين والمحنكين سياسيا ومن القادرين على تناول الكلام بحذق أثناء اجتماعات المجلس.

ومع أن عبارة «**أيْتْ رْبْعِينْ**» مستعملة بالمعنى المذكور في كل الجبال المغربية، فإن أصلها غير معروف بالضبط. وقد اقترح بعض الباحثين تفسيرا لهذه المسألة يمكن قبوله مؤقتا. هذا التفسير يمكن تلخيصه كما يلي: لقد أطلق هذا الاسم على تلك المجالس لأن عدد الأعضاء المكونين لها كان أربعين عضوا، ثم احتفظ بالاسم بعد ذلك دون أن تكون المؤسسة التي يطلق عليها مكونة من العدد المبدئي، وبالفعل فإن عدد أعضاء هذه المجالس لم يكن يصل إلى أربعين في الفترات الأخيرة المعروفة.

والشيء الذي يرجح التفسير السابق هو أن الموحدين كانوا يميزون المجالس بعدد المكونين لها، فكان لديهم مجلس العشرة «أيت مْرَاوْ» ومجلس الخمسين...

كما أن العبارة قد تكون بديلا غريباً لمجلس «إينفلاس» التي تستعمل محلها في كلام الناس لأن أعضاء مجلس «**أيْتْ رْبْعِينْ**» يعرفون عند الناس باسم «إينْفْلاسْ» وذلك حتى الأمس القريب.

المراجع :

- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, Paris, 1930, pp. 220-221.
- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, p. 130.
- عبدالعزيز بنعبدالله، **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية**، ج. 4، مطبعة فضالة-المحمدية، 1981، ص. 20-19، 182 .

إيگرّامنْ

« **إيگرّامنْ**» هي صيغة الجمع لكلمة «أگرّام »، التي تعني في الاستعمال الأمازيغي الولي الصالح. كما تطلق تجاوزا على أبنائه وحفدته بصفة عامة.

إننا لا نعرف - في الحالة الحاضرة لمعارفنا -الأصل اللغوي للكلمة، ومع ذلك فإن الناس لا يزالون يتداولون فعلا له علاقة مؤكدة بها، هذا الفعل هو «إيسگرّم» أي حَلَقَ «أگرّام» أو الولي رأس الطفل - ذكر أو أنثى - بشكل خاص، أو قص شعره بنفس الشكل. وبالفعل فإن الآباء كانوا، حتى وقت قريب، يذهبون بمولودهم - بعد أربعين يوما من مولده - إلى ولي يختارونه ليحلق له رأسه لأول مرة. وفي هذه الحالة لا تكون الحلاقة كاملة، بل تُترك خصل من الشعر، تختلف من حيث العدد والشكل، حسب عادة كل «أگرّامْ». ويحترم ذلك النموذج إلى أن يبلغ الطفل سنا معينا، إذ فقط يمكن تغييره إلى الشكل العادي.

إن فئة « **إيگرّامنْ**» في المجتمع المغربي القروي بوجه خاص، تحتل مكانة خاصة، نظراً لأهمية دورها المجتمعي وخطورته. هذا الدور الذي أفرزه مجتمع مهدد باستمرار في موارده الاقتصادية والبشرية، نظرا لتواتر الكوارث الطبيعية، ومضطر، نتيجة لذلك، إلى التحرك الدائم، والتدافع الحتمي، في اتجاه المناطق التي تكون أكثر خصبا،

وغير مستقر سياسيا نظرا لانعدام سلطة زمنية قوية، قادرة على التحكم الكامل في كل أجزاء البلاد. وضبط شؤونها، ومصاب بخوف مزمن ومزدوج: من سخط الطبيعة الملموسة والمستترة، ومن غارة الإنسان المجاور المهدد باستمرار في كيانه.

إن دور « **إيگرّامنْ**» هذا يمكن تحديده في أمرين اثنين: أحدهما هو ما يتكلفون به الناس من حماية لهم ولأبنائهم وأموالهم ضد كل قوى الشر المرئية منها وغير المرئية، وما يجلبه رضاهم على الناس من بركة في الأموال وصحة في الأبدان.

وثانيهما ما يضطلعون به من مهام التحكيم سواء بين الأفراد أو بين الجماعات، في حالة نشوب نزاعات أو صراعات، وما تكتسبه أضرحتهم، بعد مماتهم، من قدسية تساعد على حل كثير من المشاكل المتعلقة بأمن الأفراد، وبالمنازعات الجنحية، وكثيرا ما تكون مزارات تنعقد حولها مواسم سنوية لا تخفى أهميتها الاقتصادية.

ولكي نعطي فكرة عن أهمية دور « **إيگرّامنْ**» في المجتمع المغربي القديم، نورد فقرة من دوحة الناشر، وردت في ترجمة أبي عبدالله محمد بن مبارك الأقاوي: « ... وكان إذا هاجت فتن القبائل، يبحث لهم بالكف عن القتال، فمن تعدى أمره عجلت عقوبته في الوقت، وصار ذلك من الأمر المتعارف عند البعيد والقريب. ثم إنه وضع أيامًا معلومة في كل شهر يسمونها أيام سيدي محمد بن مبارك، لا يحمل فيها أحد سلاحا، ولا يقدر أحد على المشاجرة فيها، ويجمع الرجل مع قابل أبيه وولده وما يقدر أن يكلمه وذلك شائع عند قبائل العرب والبربر من أهل سوس وبلاد القبلة (...) ومناقبه كثيرة لا تحصى، وهو الذي أمر

قبائل سوس بالانقياد إلى السلطانينْ الشريفينْ أبي العباس أحمد وأخيه أبي عبدالله محمد الشيخ، وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله تعالى لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد، وكان من أمرهما ما هو معلوم...».

المراجع :

- ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، تحقيق محمد حجي، الرباط، 1977 .
- G. Surdon, **Esquisses de droit coutumier berbère marocain**, Rabat, 1928, pp. 91 sqq.
- E. Laoust, **Mots et choses Berbères**, Paris, 1920, (Rabat 1983), pp. 142 sq, 315.
- E. Dermenghem, **Le culte des saints dans l'Islam maghrébin**, Paris, 1954, pp. 162 sqq
- J. Berque, **Structures sociales du Haut-Atlas**, Paris, 1955, pp. 249 sqq., 434-435.
- A. Bel, **La religion musulmane en Berbèrie**, Paris, 1938, Tome I, pp. 341sqq.

إينَفْلاَسْ

«**إينَفْلاَسْ**» هي صيغة الجمع لكلمة «أنَفْلوسْ» وهي نفس الكلمة التي ينطقها التاركيون (توارگ)، «أنَافْلاَسْ» ويجمعونها على «إينافْلاَسْنْ». وتعني في اللغة الأمازيغية بصفة عامة: الإنسان الذي لديه استعداد ليثق/ الذي يثق في نفسه/الذي يوثق به/الإنسان الثقة/الذي يوحي بالثقة...

وصيغة الفعل من المادة هي «إيفْلَسْ». وتستعمل عادة للتعبير عن أي نوع من أنواع الإيمان، وعن أي شكل من أشكال الثقة. كالإيمان بالله والثقة به أو بالإنسان أو بأي شيء آخر(1).

وتستعمل الكلمة كذلك في الأمازيغية المعاصرة، في الجنوب الغربي للمغرب، للدلالة على الإنسان الذكي الماهر، واللبق الفصيح ذي الرأي السديد، والعارف لتقاليد الجماعة أو «القبيلة» التي ينتمي إليها، والعادل في أحكامه وفي سلوكه الخاص مع الناس(2).

أما عن المجال الجغرافي الذي تستعمل فيه الكلمة فإنه يقتصر، حسب ما نعرفه الآن، على الجنوب المغربي الغربي. أي جنوب الخط الممتد من الصويرة إنْتيفتْ أو نتيفَة ماراً بمراكش، وغرب الخط الواصل بين نتيفة وزاگورة ومجرى وادي درعة. وهذه المنطقة تضم الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس والأطلس الصغير(3).

وإذا كان اللفظ يختلف، فإن مدلوله، كممارسة مجتمعية، يوجد في أماكن أخرى من المغرب الأمازيغي. وهكذا نجد كلمات: أمْزْوَارْ/إيمْزْوَارْنْ؛ أمَاسَايْ/إيمَاسَايْنْ، أيتْ رّبعين، أمْسْلاَيْ/إيمْسْلاَيْنْ، أمين/أمناء... التي تتضمن معنى من معاني كلمة «أنْفْلُوسْ» المشار إليها سابقاً. وكيفما كان الأمر، فكلها تدل على الأشخاص الذين يتحملون المسؤولية في إطار التنظيم الجماعي الذي كان سائداً في المجتمعات الجبلية على الخصوص، وأعضاء الجماعة كما هو معروف، يحملون اسم إينْفْلاَسْ في الجنوب الغربي للمغرب [4].

إن الحقل الدلالي لكلمة «أنْفْلُوسْ» يتضمن إذن شقّيْن كبيريْن: أولهما ديني متغلغل في القدم، والآخر دنيوي متأخر نسبيا. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمر لا يتعلق في هذه الحالة بتغيير تام للمعنى الأول، بل بانزلاق غير ناتج عن تغير في طبيعة المسمّى. ولكنه ناتج عن تغيّر في المعتقدات الدينية، جرّ تحولا احتياليا في مهام المسمّى. وفي معنى اللفظ الدال عليها.

ولكي يكون ما ذكرناه أعلاه أكثر وضوحا، نقول: إن لفظ إنْفْلُوسْ ربما كان يطلق في عهد الديانات الزراعية على أناس يُعتقد أنهم يتوفرون على قوة سحرية أو خارقة، تجر الخير والفوز على المتبركين بهم. ومع انتشار الديانة الإسلامية - وربما قبل ذلك في المناطق التي عرفت اليهودية والمسيحية - بقيت فئة **إينْفْلاسْ** موجودة، ولكن العقلية الجماعية عملت تدريجيا على طمس جوانب من مهامهم تكشف العلاقة الصريحة بالديانات الزراعية، نظراً لكونها تتنافى مع الديانة الجديدة. في حين كيفت جوانب أخرى منها مع ما تقتضيه المعايير الطارئة. أو احتفظت بها كما هي ما دامت لا تثير انتباه أحد.

هذه المثاقفة على مستوى المعتقدات، هي التي أدت -من بين عوامل أخرى- إلى إحلال كلمات محل أخرى، أو إعطاء معاني جديدة لألفاظ قديمة كلما دعت الضرورة إلى ذلك [5].

لقد وردت في بعض كتب النوازل المتأخرة إشارات قليلة، تدل على وجود مجالس إينْفْلاَسْ في جبال دْرْنْ ومنطقة سوس بصفة خاصة. وأقدم هذه الإشارات ترجع إلى القرن الرابع عشر[6]. ويبدو أن القرن السادس عشر شهد تفاقم الظاهرة، واتسعت أكثر في القرن السابع عشر[7]. وقد وردت كلمة «النفاليس» في أجوبة قاضي الجماعة عيسى ابن عبدالرحمان السكتاني (ت 1661) [8]. كما وردت في السؤال المعروف الذي استفتى به يحيى بن عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم الحاحي (ت 1625) فقهاء الوقت، والذي ابتدأه هكذا: «... جوابكم لله تعالى فيما يفعله بعض أهل البادية، أهل الجبال منهم، من أنهم يجتمعون عن آخره ويعملون منهم أهل الحل والعقد، ويقولون لهم **إينْفْلاسْ**. ويسميهم بعضهم الضمّان، ويصدر الاتفاق منهم على ضوابط ومصالح عندهم...» وقد عرف محمد حجي بمهمة **إينْفْلاسْ** في العبارة الآتية: «... بينما يتولى إينْفْلاسْ الفصل في الجنايات وبعض القضايا المدنية كأحداث الأسواق من غش وتطفيف في الكيل والميزان بحسب ما في الألواح، وأحكامهم لا تقبل الاستيناف. كما يتولون تنفيذ ما يقضي به الفقهاء المحكمون»[9].

غير أن الدراسات الأوربية المعاصرة، أعطت تعريفات أوسع لوظيفة **إينْفْلاسْ**. فإميل لاووست E. Laoust مثلا يعتقد أن أنْفلُوسْ وأمْزَوارْ اللذين يعتبرهما كثير من المؤلفين المعاصرين مباركَين يُتيمن بهما، ليس إلا امتداد لسلسة السحرة والكهنة والملوك الزراعيين

(les rois agraires) الذين كانت ممارساتهم السحرية أو السحرية - الدينية تضمن رفاهية العشيرة (clan) وحياتها. كما يعتبر أن فرضيتُه هذه ثاقبة نظراً لكثرة عدد أفراد الفئة المذكورة. وقد ذهب بعيداً حين زعم أن كثيراً ممن يدعون الشرف من الأمازيغ، قد لا يكونون في الأصل إلا ورثة إينْفْلاسْ وإيمْزوارْنْ (10).

وذكر كذلك أن هناك أنواعا من إينْفْلاسْ منهم :

- أنْفْلوسْ نْ- تيبُّوكا، وهو الذي يفتتح عملية الحرث:
- أنْفْلوسْ نْ- لْباروضْ، ويُعتقد أنه لا تؤديه ضربات العدو، وأنه يحمي المحاربين، وهو الذي يحمل العلم، ويطلق أول طلقة عند بداية المعركة:
- أنْفْلوسْ نْ- ءُومُودُو، يصاحبه الناس في أسفارهم تيمّنا به؛
- أنْفْلوسْ نْ- لْهْدْرْتُ، يفتتح حلقات أحواشْ في الحفلات الجماعية، بنقر على الدف قبل غيره (11).

وقد أضاف روبير لمونتاني R. Montagne نوعيْن آخريْن هما: أنْفْلوسْ نْ- لْخيرْ أو الرجل الميمون، وأنْفْلوسْ نْ- تْسْهيلْ أي الذي تتيسر على يديه الأمور. وأورد في نفس الوقت تفاصيل لاحظها مشاهدة أو جمعها عن طريق الرواية الشفوية، تتعلق بالممارسات المجتمعية المرتبطة ب «مؤسسة» إينْفْلاسْ، وإشارات إلى مناطق وجودها في الجنوب الغربي من المغرب (12).

وهكذا نرى أن كلمة «أنفلوسْ» من الكلمات التي بقيت حية، مع تعديل اضطراري في معناها الأول. ويلاحظ اليوم أن معناها الثاني بدأ - هو بدوره - في الأفول، نظرا لكون المؤسسة المجتمعية التي يتجسد

فيها انحلت منذ زمان قبل أن تنقرض نهائيا في الوقت الحاضر(13). ونتيجة لذلك تقلص مجال استعمال كلمة «أنْفْلُوسْ» ليصبح فقط اسم شخص أو عائلة، لا يمارسون بالضرورة الوظيفة الأصلية التي كانت تبرر وجودها.

المصادر:

(1) انظر:

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg-Français.** Imprimerie Nationale de France, 1951, Tome 1er , pp. 328, sq.

(2) هذه المعاني استفدناها من رواية شفوية سجلناها في بداية السبعينات بآيت سمگ في سوس الأعلى.

انظر كذلك :

- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, pp. 221, sqq.

(3) انظر روبير مونتاني، المرجع السابق، ص. 217 وما بعدها، وكذلك :

- E. Laoust, **Mots et choses berbères**, Paris, 1920, Société Marocaine d'Edition à Rabat, (collection «Calques»), 1983, p. 313-314.

(4) انظر المرجعين السابقين مباشرة، عند الصفحات المذكورة. وانظر كذلك :

- H. Bruno, «Notes sur le statut coutumier des Berbères marocains», dans les **Archives Berbères**, vol. 1, Fasc. 3 année 1915-1916, Paris, 1916, pp. 135, sqq.

- Id. «Introduction à l'étude du droit coutumier des Berbères du Maroc Central, dans **Les Archives Berbères**, vol.3, Fasc. 4, année 1918, Paris 1918, pp. 297, sqq.

(5) انظر :

- J. Berque, **Structure sociale du Haut-Atlas**, Paris, 1955, pp. 374, sqq. 386, sqq.

(6) انظر محمد المنوني، التيارات الفكرية في المغرب المريني، فصلة من مجلة «الثقافة المغربية»، العدد5، ص. 47.

(7) انظر محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الجزء الأول. مطبعة فضالة 1977، ص. 298، وما بعدها

(8) مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم ج. 1257، ص.87 .

(9) من نسخة مخطوطة عثرنا عليها عام 1971 في جبل إيسْكْساوانْ أوسكساون قابل مع محمد حجي، المرجع السابق، ص. 300 بعدها .

(10) المرجع السابق، ص. 288.

(11) المرجع السابق، ص. 313 وما بعدها .

(12) المرجع السابق، ص. 130وما بعدها، 200، 221 وما بعده: كما ذكر كذلك إينفلاسْ نْ- وامانْ وهم الذين يسهرون على تنظيم دورات مياه السقي، نفسه، ص. 220.

(13) انظر :

- R. Montagne, «L'Aghbar et les Hautes vallées du Grand-Atlas», dans **Hespéris**, Tome VII, Année 1927, 1er Trimestre, pp. 13, sq.

تَاخْكَاتْ

«**تَاخْكَاتْ**» والأصح هو أن تنطق «**تَاخْكّوَاتْ**» كلمة تستعمل لدى سكان الأطلس الصغير الغربي اسماً لواحد من الحزبين المتعارضين اللذين كانا يقتسمان سكان المنطقة. أما الحزب المقابل له، فكان يحمل اسم «**تَاكُوزُولْتْ**».

تَاخْكّوَاتْ، وتجمع قياساً على «**تِيخْكّوَاتِينْ**» كلمة يصعب تحديد أصلها اللغوي الآن. وقد ذهب المختار السوسي في الإلغيات إلى الافتراض القائل بأنها «مأخوذة من اسم أسرة ينتسبون إليها. فإننا لا نزال نعرف من أسماء النساء (حكة) [تقرأ خْكّوَا] فربما كان ذلك نسبة إلى جدة لبعض القبائل التي سبقت إلى الاقتحام إلى سوس ثم جر ذلك الذيل على القبائل التي تبعتها إلى سوس سكانا آخرين من الشلحيين ليسوا من صميم الجزوليين...».

والجدير بالذكر أن كلمة «خْكّوَا» هي الصيغة الأمازيغية لـ «حواء». وقد تكون نسبتهم إلى اسم امرأة من قبل أعدائهم، وفي هذه الحالة يكون قصدهم من ذلك هو احتقارهم أو التنقيص من مقدرتهم ورجولتهم وشجاعتهم...، وربما كان هذا هو السبب الذي جعلهم يخفون حقيقة انتمائهم، ويستعملون ليتعارفوا فيما بينهم رموزاً سرية لا يعرفها غيرهم بسهولة.

غير أن حالة الضعف هذه والتي انتهى إليها المنتمون إلى نزعة تَـاحْكَّاتْ قد لا تكون إلا آخر صورة وصلتنا عنهم عن طريق الرواية الشفوية أو الواقع المعاين والذي حالت عوامل أخرى دون تغييره. وبذلك، أصبح ما كان خليقا بأن لا يكون إلا وضعية مرحلية، حالا مقيما يوهم بأنه ديمومة قديمة.

وبالفعل، يبدو أن «نحلة» تَاحكَّات -كما يسميها المختار السوسي- لم تضعف قوتها. وتتراجع سمعتها إلا بعد القرن السابع عشر. أي بعد أن تحالفت نحلة «تاكَوزولت» المناهضة لها مع أسرة بودميعة الإيليغية، التي تبنت رموز المشروعية السياسية وركبتها وأسست الأمارة التزروالتية المعروفة.

هذا الانحراف -المفروض ظرفيا- على القواعد اللفية الداخلية المعروفة، سهل انتصار نحلة تاكَوزولت على نحلة تاحكَّات، وهذا الانتصار أتاح الفرصة ليسود خطاب المنتصرين في وقت تدخلت فيه عوامل أخرى لتفسد اللعبة اللفية من أساسها. وأخذت الصورة الأخيرة، وبقيت دليلا وحيدا نشاهده ونعتمده مرجعا بخصوص النتيجة الأخيرة للصراع بين النزعتين: تاحكَّات وتاكَوزولت.

أما عن أصل هذا الانقسام الثنائي، فقد كتب عنه المختار السوسي في الجزء الثالث من الالغيات ما يلي: «ولكن الذي يهم الباحث أن يعرفه هو معرفة الوقت الذي ابتدأ فيه هذا الانقسام بين هذه القبائل، وكثيرا ما كنت أمعن النظر في مبدأ هذين الحزبين، وأنقب وأسأل عن السبب الخاص حتى تبين لي حدساً - فقط - أن السبب هو الوباء الواقع في القرن الثامن الهجري 749هـ [1348]م، فإنه طاعون

جارف، ترك غالب شمال افريقية - مثل أوربا - قاعا صفصفا. فكم مكان مأهول بالسكان، أصبح في القرن الذي بعده خراباً يباباً لا أحد فيه وهذا بنفسه وقع في سوس. فإن في بعض جبال جزولة بعض أودية مأهولة أمست قفرا بلقعا ...».

وبعد أن ذكر بأن سكان الجبال الولتيتية الأصليين ينتمون إلى الشعب الجزولي، وأن الطاعون ذهب بكثير منهم في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، أضاف قائلا: «إن القبائل التي تحمل سمة تاحكَّاتْ أصالة كالمرابطين [أيتْ أُومريبْضْ] سكان ما حوالي مركز (فم الحصن) الرسمي الآن. لا نزال نوقن أن أصلها الآصيل كان من الصحراء ثم دخلت هذه البلاد، وكذلك قبائل حربيل وسكَّتانة وما أكثر أمثالها بين قبائل تاحكَّات. ونرى أن وقت دخولها لهذه البلاد كان في هذا الوقت، يوم تشخر هذه البلاد من وقع ذلك الطاعون الجارف...».

هكذا يتبين أن أصل الانقسام حسب ما ذهب إليه المختار السوسي هو الصراع بين الأصليين والطارئين، وأن زمن ابتدائه هو منتصف القرن الرابع عشر الميلادي الذي شهد من جهة الطاعون الأسود الذي أودى بحياة كثير من الجزوليين، وبداية اقتحام قبائل أمازيغية من أصل صحراوي لبلادهم تحت ضغط قبائل بني هلال الصحراوية من جهة أخرى.

إن العذر الوحيد الذي يمكن أن يلتمس للمرحوم المختار السوسي بخصوص هذا الموضوع هو أنه اقتصر في حديثه عن ظاهرة الانقسام الثنائي على منطقة واحدة هي الجنوب الغربي. وتحفظ العلماء فيما ظنه -حدسا فقط- أنه هو التفسير الموضوعي لظاهرة نحلتي

تاحگات وتاگوزولت. ذلك لأن مسألة التحزب الثنائي في تاريخ المغرب وشمال افريقيا عامة، مسألة متشعبة والحديث عنها لا يزال في بدايته. ونتيجة لذلك فإن فهمها وتفسيرها بشكل شمولي لا يتأتى في الحالة الحاضرة نظرا لقصور معارفنا التاريخية عن تحقيق ذلك.

وبدون أن ندخل في مناقشة كل جوانب الموضوع التي تطرح تساؤلات جدية، نورد فقط بعض الملاحظات التي يمكن أن تعتمد لتعميق البحث حول الظاهرة اللفية بصفة عامة وفي منطقة الأطلس الصغير ووادي درعة بصفة خاصة.

- إن نحلة تاحگات لا تحمل نفس الاسم في المنطقة المذكورة، وقد لاحظ المختار السوسي نفسه ذلك. فهي تاحگات (تازروالت) أو تاسكتيت (سكتانة) أو محبوب (درعة).

وينطبق الشيء نفسه على النحلة المقابلة لها أي تاگوزولت. وكلما اتسعت الدائرة جغرافيا كلما تنوعت الأسماء، رغم أن الشعور بالإنتماء إلى هذه النحلة أو تلك موجود حتى بين مجموعات بشرية متنائية.

ومما يعقد المسألة أكثر، ويجعل تطورها التاريخي أصعب ما لوحظ من وجود إمكانية تغيير الانتماء من حزب لآخر حسب المصلحة وميزان القوى.

- إن الأسباب الموضوعية التي اعتمدها المختار السوسي لتحديد أصل تكوين النحلتين في المنطقة أسباب دورية لا تقتصر على زمان ولا على مكان معينين. فالطاعون الأسود لم يصب المنطقة المذكورة وحدها، ولم يكن هو الوباء الوحيد الذي اجتاحها عبر تاريخها

الطويل، وشعب جزولة لم يكن هو الوحيد الذي طرقها آتيا من الصحراء، أو من ما قبل الصحراء. ثم إن الانقسام الثنائي لا يقتصر على الجنوب فقط، بل يشمل المغرب كله أو معظمه.

- إن ظاهرة التحزب الثنائي قديمة جدا، وهذه نتيجة منطقية لما سبق، كما أن التاريخ يثبت ذلك ولو بإشارات سريعة ومتفرقة. ثم إن الرواية الشفوية التي لا تزال رائجة حول أصل الظاهرة لا تقتصر على تفسير واحد، بل تقدم لنا تفاسير متنوعة ومن بينها التي تقول بأن أصل هذه الثنائية هو الصراع المعروف بين بني آدم.

- إن الظاهرة، رغم قدمها، لم تتخذ مظهرا جامداً يجعلها قابلة للتجاوز، بل استمرت كمؤسسة ضرورية لتحقيق التوازن الذي لا بد منه بين مجموعات بشرية كبيرة الانتشار تعيش طليقة لا تخضع لحكم مركزي يضمن التوازن المنشود. لذلك نجدها تتلون بلون العصر وتخضع للحاجيات المحلية، وتجدد دوما تأويلها لنفسها. وكل هذا لا يضر بوجودها كمؤسسة تاريخية فعالة طوال قرون مديدة.

- لهذه الأسباب الأخيرة ربما أمكننا أن نفهم تعدد الإمكانات التأويلية الواردة بخصوص الظاهرة، سواء من خلال الرواية الشفوية أو من خلال أعمال الباحثين المهتمين. ففي منطقة سوس مثلا، إذا اقتصرنا فقط على العهد الإسلامي، نجد التأويلات الواردة هي هذه:

الصراع بين الرحل والمستقرين؛

- الصراع بين باشري الإسلام الآتين من بعيد وسكان المنطقة الوثنيين؛

- الصراع بين الشرفاء الأدارسة والعلويين؛

- الصراع بين أهل السنة والشيعة

- الصراع بين تاكوزولت المرابطية وتاحكات وتاسكتيت الموحديتين:

- الصراع بين تاكوزولت أنصار بودميعة وتاحكات آنصار يحيى الحاحي...

هذه الاحتمالات التأويلية كلها واردة، وليست متخيلة. ويبدو أنها حقيقية تاريخيا. ويمكن اعتبارها من باب إخضاع الظرفية التاريخية المتجددة لمقاييس مؤسسة نموذجية قديمة. وهذا في نظري هو المفتاح الذي ينبغي استعماله لولوج رحاب تاريخية لا تزال منغلقة.

- إن الدور التاريخي لنحلتي تاحكات وتاكوزولت - ولما يقابلها من نحل في مناطق أخرى من المغرب - لا يقتصر على تحقيق التوازن بين المجتمعات المحلية المتجاورة فحسب، بل يتجلى كذلك في خلق جو من التوتر الدائم بين الطرفين يحول دون وقوع المصادمة الفعلية. وإذا وقعت هذه فلأن التوازن القائم يكون قد اختل بسبب أو لآخر. وإذا تمت الغلبة للقوي على الضعيف فإنها قلما تكون دائمة لأن امكانية تجاوزها موجودة، إما بمساعدة الحلفاء أو بتدخل قوة خارجية. وفي مثل هذه الحالة الأخيرة يتمكن المخزن المركزي عادة من تسريب نفوذه إلى مناطق ما كان ليتوصل إليها بوسائل أخرى. ولهذا نلاحظ أن المخزن كان دائما يحاول استعمال الصراعات اللفية لحماية مصالحه وتوسيع مجال سلطته. وقد يكون تدخله هذا بطريقة غير مباشرة كأن يساند سلطة محلية موالية له تكفل له القيام بدور المراقب والجابي.

هكذا، يتبين لنا أن الانقسام الثنائي ساهم بحظ وافر في حماية المجتمعات الطليقة من هيمنة السلطة، ولكنه كان كذلك - في فترات ضعفه - عاملا من عوامل اندماج أحد المجتمعات في النظام المخزني المركزي. وقد يقع اندماج أحد الطرفين في جهاز سلطة مركزية ما في فترة من فترات قوته وبمحظ إرادته كما وقع مثلا بالنسبة إلى تاكوزولت والسعديين.

من هم المنتمون إلى نحلة تاحكات؟

لقد اكتفى المرحوم محمد المختار السوسي بالإشارة إلى أسماء بعض «القبائل» التي تنتمي إلى تاحكات، وهذا مما يؤسف له، لأنه كان في موقع يسهل عليه إحصاء كل المجموعات التي تنتمي إلى هاته أو تلك من النحلتين.

وقد أغلق هذا الباب بقوله: «وأما تعيين القبائل التي كانت تعتنق هذه النحلة أو تلك النحلة، فأمر يسهل على كل باحث أن يحصل عليه، ومن القريب جدا وضع سلسلتين لقبائل كل نحلة من وادي نون إلى درعة. لمن أراد أن يستوفي الموضوع وأن يؤديه حقه بإسهاب وتتبع...».

غير أن «روبير مونتاني» في كتابه **البربر والمخزن** المكتوب بالفرنسية، أعطى لائحة بأسماء كل القبائل المنتمية لكل نحلة، لكن فيها بعض النقص، وبعض التناقض بين ما أورده هو وما أورده المختار السوسي.

فالتي أشار إليها المختار السوسي هي: أيت أومْريبضْ وحربيل وسكتانة وإيداوْباعْقيلْ.

أمـا التي ذكـرهـا روبيـر مـونتـاني فـهي: إيفـران وأيت برابيم وإيداوْباعـقـيل وأيت تيـزنيت وأيت حـرار وأمْلْنْ وأيت أومـانُوزْ وأيت عبدالله وإيسافْنْ وأيت وادريم وأيت مزال وأشْتُوكْن (هشتوكة) وايسْنْدَالِنْ وإيدَاكَنيضِفْ.

والجدير بالذكر أن «قبيلة» «سكتانة» التي اتخذ منها اسم نحلة تاسْكْتيتْ التي تعتبر هي وتاحكّات شيئا واحدا، ليست كلها حسب «روبير مونتاني" لفا واحدا كما قد يتبادر إلى الذهن بل تنقسم على نفسها إلى حزبين متعارضين. وهذا دليل على أن الانقسام الثنائي لا يعتمد القبلية أساسا للتمييز الحزبي، بل تتحكم فيه قواعد أخرى لن يتم بعد الكشف عنها، وستبقى "رقعة الشطرنج" التي شبه بها «روبير مونتاني» صورة انتشار الجماعات المنتمية لكل حزب على الفضاء الجغرافي، مبهمة المضمون وغريبة الشكل.

المراجع:

- البكري، المغرب (1965)، ص.157 .
- الإدريسي، نزهة (1957)، ص. 39.
- البيذق، أخبار المهدي، (1928)، ص. 41، 43 .
- المختار السوسي، خلال جزولة، ج 3، ص. 93-94، 20؛ ج 4 ص9.
- المختار السوسي، خلال جزولة، ج 3، ص. 166 وما بعدها.
- المختار السوسي، **إيليغ قديما وحديثا**، (1966)، ص. 238 وما بعدها، 57 .

- R Montagne, **Les Berbères et le Makhzen**, (1930), pp. 182 sqq, 201 sqq.
- C. Justinard, «Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle», (1933), pp. 59-72 sqq et passim .
- B. Rosenberger, «Tamdult», in **Hespéris**, (1970), pp.105, 127, 129, 131, 133, 134.
- J. Berque, **Structures sociales du Haut- Atlas**, (1955), pp. 224 sqq.
- التقي العلوي، أصول المغاربة، البحث العلمي، العدد 27، (1977)، ص.231 وما بعدها.

تَـارْݣـا

« تَـارْݣـا» في المفرد و«**تِيرْݣِيوْ**» أو «**تِيرْݣْوِينْ**» في الجمع.
هي كلمة أمازيغية تعني «الساقية» الكبيرة التي شقها الإنسان لجر المياه، وقد تطلق كذلك في بعض المناطق الصحراوية على الجداول الطبيعية التي لا تجري فيها المياه إلا عند نزول الأمطار.

والكلمة منتشرة انتشاراً واسعا في المجال الآمازيغي بمعناها الحقيقي وكأسماء أعلام جغرافية وبشرية. فقد ذكر البكري أن بنواحي مسيلة الجزائر: «مدينة للأول خربة يقال لها تشليقة، فيها جدولان من ماء عذب جلبه الأول إليها يقال لها **تارقا انوودي** [تَـارْݣـا نْ -- وُودي]، تفسيره ساقية السمن...». وقال صاحب الاستبصار، نقلا عن البكري: «ومن أراد الدخول من وادي درعة إلى بلاد السودان، غانة وغيرها، فليمشي من وادي درعة نحو خمسة مراحل إلى وادي ترجا[تَـارْݣـا] وهو في أول الصحراء...»، ومعنى هذا أن ما يسمى اليوم «الساقية الحمراء» هو ترجمة حرفية لاسمها الأصلي «تَـارْݣـا زْݣّـوَاغْـنْ».

والجدير بالذكر أن قرية تسمى «**تَـارْݣـا نْ- عِـيزْݣّـوَاغِـنْ**» توجد إلى اليوم قرب تَـافِينْݣُـولْتْ بعمالة تارودانت.

ويبدو أن التارݣيين المعروفين بوسط الصحراء الكبرى، اكتسبوا اسمهم من اسم بلدهم الأصلي «تَـارْݣـا» الذي كان في منطقة فزّانْ

بليبيا. وعن هؤلاء كتب عبدالوهاب بن منصور مايلي: «تارݣة بجيم بدوي إحدى قبائل الملثمين بالصحراء، والنسبة إليها تارݣي، جمع توارݣة وتوارݣ، والاسم الأخير حرفه تراجمة الشرق إلى طوارق...».

وإذا أثرنا موضوع «تَـارْݣـا» كمؤسسة اجتماعية ذات أهمية قصوى في حياة الجماعات المستقرة في كثير من أرجاء شمال إفريقيا، فإن ذلك لا يمكن أن يكون إلا إشارة سريعة إلى موضوع هام وشاسع يبدو أنه لم يحظ بعد باهتمام خاص من قبل الباحثين في مجال التاريخ الاجتماعي بالمغرب. إنه موضوع تاريخ الري بالمغرب والذي تعتبر فيه «تَـارْݣـا» كموجود ملموس وكمؤسسة اجتماعية بالغة الأهمية في حياة الجماعة، عنصراً حساسا يعكس بمَا يثير حوله من أحداث وعلى المدى الطويل، التاريخ العميق للجماعات المتساكنة في مجالات حيوية قد تكون صغيرة أو قطاعية أو واسعة.

وإذا علمنا أن لكل «**تَـارْݣـا**» في المغرب نظاما مقتنا، وتاريخاً قد تكرسه وثائق شفوية أو مكتوبة، اتفاقية أو صراعية أو قضائية أو دراسات معاصرة، فإننا سندرك أن القيام بدراسة هذا الموضوع شيء ممكن. وإذا تم ذلك على أحسن ما يرام فسيكون لا محالة خطوة ثابتة في سبيل تعميق البحث التاريخي في بلادنا.

المراجع :

- E. Laoust, **Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas**, Paris, 1942, p. 58-59.

- البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحقيق البارون دوسلان، باريس، 1965، ص. 59، 163 .

- مجهول، كتاب الاستبصار، نشر سعد زغلول عبدالحميد، الدارالبيضاء، 1985، ص. 213 .

- R. Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Paris, 1930, p.12.

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire Touareg -Français**, 1951, t.II, p. 534, t.IV, p. 1588.

- عبدالوهاب بن منصور، قبائل المغرب، الجزء الأول، الرباط، 1968، ص.330.

- قارن مع عبدالعزيز بنعبدالله، معلمة المدن والقبائل، ملحق 2، ص. 125 .

تَاكُوزُولْتْ

«تَاكُوزُولْتْ» التي يمكن أن تترجم بـ "الجزولية" أو «النزعة الجزولية» أو «النحلة الجزولية» إسم عَلَم يطلق على «القبائل» السوسية التي كانت منتمية إلى الحزب الجزولي. والكلمة كما هو واضح مأخوذة من اسم الشعب المعروف تاريخيا ألا وهو"جزولة" أو "إيكُوزُولَنْ".

وكان الحزب المقابل لها في المنطقة يحمل اسم "تَاحْكَاتْ" أو «تَاسْكْتِيتْ» حسب الجهات داخل المنطقة نفسها. (انظر مادة تاحكات).

كان سكان سوس من وادي نون إلى جبل سيروان ومن وادي درعة الأوسط إلى وادي سوس منقسمين على هذين الحزبين المتنافسين انقساما يكاد يكون متوازنا، الشيء الذي يوحي للباحث المتأمل بأن الهدف الجوهري لهذا الانقسام "النصفي" هو تحقيق نوع من التوازن الدائم بين مختلف الجماعات الساكنة في المنطقة.

غير أن نشأة نحلة "تاكوزولت" التي تعرف عليها المعاصرون على أرض الواقع بدأت في رأي بعض المهتمين في القرن الرابع عشر الميلادي. وربط تلك النشأة بسبب موضوعي معروف تاريخيا هو الطاعون الأسود الذي أتى على نسبة كبيرة من السكان في المنطقة المذكورة وفي غيرها من النواحي.

ويذكر المختار السوسي الذي هو صاحب هذا الرأي أن الجزوليين هم السكان الأصليون في القسم الغربي من الأطلس الصغير، ونتيجة لذلك، فإن نحلة "تاگوزولت" هي التي تمثل هؤلاء السكان الذين قضى الطاعون الأسود على قسم منهم. أما النحلة المقابلة وهي «تاحگات» فإنها تمثل الطارئين الذين استغلوا ضعف الأوائل وأخذوا يتسربون إلى بلادهم ويحتلون ما أمكنهم منها. ومن هنا تولد النزاع بين الحزبين غير أن هناك رأيا آخر يناقض هذا يقول: «ومما يلاحظ أن لفظ "تاگوزولت يدل عرفا عند أهل المنطقة على الشرف والرفعة، بينما لفظ تاحكوات يجيء دون ذلك. ولهذا يستبدل اسم هذا اللف في بعض النواحي خصوصا الجبلية بلفظة سكتانة التي هي في أصلها اسم لقبيلة تضاد گزولة. وهذا ما جعل بعض المفسرين يفترضون ويرجحون أن المنخرطين في لف تاگوزولت هم من سلالة الرعاة الفاتحين والغزاة الظافرين. أما المنخرطون في لف تاحكوات فهم ينحدرون من قدماء الفلاحين المستوطنين بالبلاد قبل مجيء گزولة...» (أصول المغاربة، البحث العلمي، 27، ص.235).

وبما أن الوجود الجزولي في المنطقة ثابت منذ القرن الحادي عشر الميلادي على الأقل (البكري، 157، 161)، وبما أن منطقة سوس بجبالها وسهولها كانت حسب نفس المصدر آهلة بالفلاحين المستقرين من غير الجزوليين، فإن التحزب الثنائي للسكان كان واقعا قبل القرن الرابع عشر الميلادي، إذا أخذنا بعين الاعتبار الرأي القائل بأن الجزوليين هم الطارئون.

وتلافيا للدخول في تفاصيل الموضوع المتشعبة، والتي أثرنا بعضها في مادة "تاحگات"، نذكر فقط بأن صيغة " تاگوزولت" و"تاحگات" تمثل الصورة الأخيرة من صور متنوعة اتخذتها ظاهرة الانقسام الثنائي عبر العصور المتغلغلة في الزمن الماضي. ونتيجة، لذلك فإن التفسير الذي يوحي به تأمل الصورة الأخيرة لا يمكن أن ينسحب بشكل آلي ومطلق على الظاهرة الحزبية لا يقتصرعلى منطقة سوس وحدها.

لم يقع لحد الآن إحصاء كل «القبائل» المنتمية لنحلة تاگوزولت ويبقى «روبير مونتاني» الذي اهتم بالموضوع في كتابه «البربر والمخزن» هو المرجع الوحيد الذي يشفي بعض الغليل. ومن خلال هذا الكتاب، يتبين أن الجماعات التي كانت تنسب إلى تاگوزولت هي الجماعات الآتية: ءايت باعمران وءايت الساحل وءايت لمعدر وماسّت وإيداگورسموكت وإيداوسملالت وإيلالن وتازروالت وإيمجّاض وءايت رّخا ولاخصاص وإيداوزكري وإيداوكنسوس وءايت صواب وإيداوكتير.. وغيرها.

ويبدو أن مراكز نحلة تاگوزولت كانت هي ايليغ وتامانارت واكليم وتيبّوت. وأن جبل لْكْسْتْ (انگيست) كان هو المحور الطبيعي الذي استقرت حوله أهم الجماعات البشرية المكونة لنحلة "تاگوزولت".

لا يقتصر الدور التاريخي للنحلتين على المحلي المحدود فقط، بل يتجاوز ذلك أحيانا إلى ما هو وطني أو إقليمي. وهكذا نرى أن نحلة "تاگوزولت" مثلا لعبت دورا هاما في معاضدة المرابطين ومعارضة

الموحدين (أصول المغاربة، البحث العلمي، عدد 27، ص.223). كما كانت وراء تأسيس الدولة السعدية ومملكة تازروالت فيما بعد. وبهذا الخصوص، كتب المختار السوسي ما يلي: «وقد علمنا أن إثارة الدولة السعدية كان من السوسيين أتباع تاكزوزولت وكذلك تأسيس دويلة إيليغ التي كان لها في سوس والصحراء إلى غينية وراء الصحراء صولة وسيادة، زهاء 65 سنة (1081-1018هـ) ...» (إلغيات، 3، 169).

وفي الأخير، نشير فقط إلى أن القرن الرابع عشر الميلادي يمكن اعتباره فعلا نهاية لـ «جزولة» القبيلة القوية المهيمنة على المنطقة وأنشطتها، وبداية لـ «تاڭوزولت» النحلة التي عملت على تقوية نفسها بإلحاق «قبائل» أخرى غير جزولية بصفوفها، ومن أجل ذلك، التجأت إلى أساليب أخرى غير الأساليب «القبلية» الأصيلة. وقد لخص التقي العلوي هذا الانحدار في العبارات الآتية: «وحينما جاء القرن العاشر الهجري، لم تعد جزولة تذكر كقبيلة، وإنما يعرفها الناس كمقاطعة جغرافية تحمل اسم قبيلة اضمحلت وبقي اسمها للذكريات والاعتبار.

وحينما أطل على الناس عصر الزوايا والطرق الشاذلية، كان للمنحدرين من سلالة جزولة النصيب الأوفر من هذه الروح الجديدة، فوجدوا فيها بلسما وتضميدا لجروحهم، وتناسيا لمحنتهم وفرارا من واقع العبودية والشقاء الذي كانوا يعيشون فيه. وتلك نتيجة حتمية للجماعات والأفراد الذين ينحدرون من قمة المجد إلى حضيض الهوان. وإذ ذاك، انقطعت الأواصر التي تربطهم بالأصول الجزولية. وهبت ريح الانتساب إلى الشخصيات اللامعة في المغرب والمشرق والأندلس بدل الانتماء إلى جزولة فرارا من وصمة الضعف والهوان. وبذلك لم يعد لها

ذكر إلا في أسماء المواقع الجغرافية والأحلاف والتكتلات القبلية» (نفسه، ص. 233-234).

وفي انتظار تحقيق دراسة جدية شاملة لظاهرة الانقسام الثنائي على المستوى المحلي والوطني، يمكننا أن نقول دون تردد كبير، واعتمادا على قرائن عديدة، إن الانقسام الثنائي هو تعبير عن واقع تنعدم فيه التكتلات البشرية الكبيرة والقوية وليس العكس. وعلى هذا الأساس، يمكن اعتبار أداة مثلى لتحقيق التوازن الضروري داخل إطار واقع متجزئ بالضرورة لا بالطبيعة.

المراجع :

- تراجع نفس العناوين تحت مادة "تاحكّات" مع مراجعة المادة المذكورة نفسها: لأن ما تتضمنه يكمل إلى حد كبير ما كتب عن مادة «تاڭوزولت».

تِيضَافْ

تِيضَافْ كلمة أمازيغية تعني الحراسة والمراقبة والمتابعة والتجسس والسهر على الشيء أو الأمر.

وقد استعملت استعمالات أخرى في المجال العسكري كما سنرى فيما بعد.

الفعل من الكلمة «يضوف ويعني عاين، راقب، تربص، تجسس، تابع، سهر على ...

وقد استعملت الكلمة منفردة أو مركبة كأسماء أعلام بشرية أو جغرافية للدلالة على معنى مرتبط بالمعاني السابقة الذكر. وهذه أمثلة على ذلك: إيدَاوْنيضيفْ، إيگْتَافْنْ، يحيى ابن گُنْدَافْ، أنْضَافْ، تَاضَافْتْ، تِينْضُوفْ (أي تيندوف الحالية)، أزرو وَاضَافْنْ...

دخلت الكلمة قاموس التاريخ المكتوب منذ القرن الثاني عشر الميلادي على أقل تقدير، حين كتب أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق كتابه عن أخبار المهدي.

ويكفي أن نورد هنا العبارات التي وردت فيها الكلمة في الكتاب المذكور، لتتضح المعاني التي تؤديها في المجال العسكري على الخصوص « ... وجعل المعلوم [ابن تومرت] برجا [بتينملّ] يقال له برج

تيظاف، وجعل فيه طبلا، فكان يمسك الطبل عبدالسلام آغييي... » (ص. 80) (قارن مع المحلل الموشية، ص. 112).

« ... فدخلنا أزرو [جيش عبدالمومن] وسكانا به (...) ثم تقاسم العسكر على أعداد، خرج ابن زگو لبنى كانون وخرج آخر لتيظاف...» (ص. 89) « ... ثم قلع الخليفة [عبدالمومن بن علي] من أگزسيف يريد فاسا، فنزل بالمقرمدة، فجاءه أبو بكر بن الجبر بعسكر غمارة، فقال فالخليفة للموحدين: أعطونا تيظاف يمشون إلى فاس ويتعرفون إن كان هذا الرجل [والي فاس]في قوة أو لا ...» (ص.99).

« ... ثم قال الخليفة]عبدالمومن [للموحدين أعزهم الله : أعطوني تيظاف يصرفون لمكناسة، فخرج إليهم يدّر بن ولگوط فقتلهم جميعا إلا ثمانية من الخيل...» (ص.100).

انطلاقا من هذه الفقرات يتبين أن كلمة «تيضاف» يمكن أن تعني في المجال العسكري المعاني التالية: برج المراقبة أو طلائع الجيش أو كتائب لاستطلاع أو فرق الحراسة. والجدير بالذكر أن الكلمة لا تزال متداولة في اللسان الأمازيغي رغم التراجع الذي وقع في استعمالها إذا تعلق الامر ببعض معانيها المذكورة.

المراجع :

- البيذق، أخبار المهدي، باريس، 1958 .
- الحلل الموشية، الدارالبيضاء، 1979 .
- محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، ج، 1، (1990)، ص.260 .

- Ch. de Foucauld, **Dictionnaire**..., I. p. 260.
- E. Destaing, **Vocabulaire**, Paris, 1920, P. 270.
- E. Laoust, **Contribution**..., Paris, 1942, p.72

الفهرس

المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية